دراماتوكسين

أحمد الجمل

دار دريم بن للطباعة والنشر

العنوان: مدينة العبور – الحي السادس، فيلا 8، مدخل 1
هاتف: 1003288596 (0020)
بريد إلكتروني: dream.pen92@gmail.com

دراماتوكسين

أحمد الجمل
الطبعة الأولى، القاهرة 2019م
غلاف: عمار جمال العبد
مراجعة، تنسيق وإخراج داخلي: لخضر بن الزهرة
رقم الإيداع: 26619 / 2019
I.S.B.N \ 978-977-85628-2-8

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًّا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيٍّ من الدار.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، و لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار النشر.

دراماتوكسين

(قصص)

أحمد الجمل

إهداء

إلى تلك الأرواح الطيبة التي تسكننا...

إلى تلك المو اقف التي جعلت منا ما نحن عليه الآن...

لماذا لا نكتب في خانة الإنجازات كيف تركنا البيت القديم، وكيف انتقلنا من مدرسة إلى أخرى، كيف اكتشفنا الخدعة تلك، كيف خبأنا مشكلتنا عن قلوب أمهاتنا وتحملنا المسؤولية وحدنا بهدوء، كيف تصرفنا بأول يوم جامعة، وكيف تصرفنا بشجاعة عندما أجبرتنا الظروف أن نسلك طريقا لا نحبه، كيف احتوينا حزن صديق، وكيف قلنا أول كلمة عزاء، وأول كلمة (مبارك)، لماذا لا نضع في خانة الخبرات تحديدا كيف صبرنا على غياب الأحباب وموت الأقرباء وكيف سامحنا خذلان بعضه؟

لماذا لا نضع في خانة المهارات الصبروالسماح والثبات والقوة رغم الألم واليأس؟

الشهادات والأوراق أقرب إلى الحائط من ذاتنا نضعها في برواز أنيق... "هذه المو اقف وحدها التي صنعتنا".

samy443#

مقدمة

كل القصص التي نعيشها ونراها في المحصلة هي قصصنا نحن، نسطرها بأيدينا ونكتب نهايتها بأفعالنا.

من منا لم يذق السم بطريقة أو بأخرى؟ من منا لم يعش دراما خاصة به؛ لم يدركها غيره، وداخل كل دراما لحياة أحدنا نقطة تحول؟ تلك النقطة التي يكون كل ما بعدها مختلفا تماما عما قبلها.

سم عجيب هو الذي يسري في الشخصية ويحولها، يجعلنا تارة نترك أحباءنا، وتارة نطمع في الحكم، وتارة نخطط لامتلاك الدنيا، وتارة أخرى نفكر في الانتحار، وهنا في هذا الكتاب الذي بين أيديكم نتكلم عن ذلك النوع من القصص التي لن تكون نهايتها أبدا كبدايتها.

وكلمة توكسين مأخوذة من الكلمة الإنجليزية ذي الأصل اللاتيني (Toxin) والتي تعني السم، ومن هنا جاء اسم الكتاب (دراما توكسين)، فكيف يكون لذلك السم دور في تحويل كل قصة في الكتاب؟ وكيف له أن يحول مجراها والكتاب عبارة عن مجموعة قصصية متنوعة ليس لها ارتباط ببعضها البعض؟

أتمنى من الله أن تنال كل قصة في كتابي المتواضع إعجابكم، وتشد انتباهكم حال قراءتكم لها، وإذا ما استشعرت نجاحها من خلالكم فسوف تكون (دراماتوكسين) ليست مجرد مجموعة

قصصية انتهت في كتاب واحد، و إنما ستكون مجموعة من الكتب في سلاسل متتابعة إن شاء الله، وكل كتاب منها يحمل مجموعة أخرى متنوعة من القصص المشوقة بأمر الله تعالى.

أترككم الآن وعالمكم الخاص أيها السادة، فلتستعدوا، فأنتم على وشك خوض تجارب عدة؛ ستكونون جزءًا منها، وإذا كنتم من محبي الدراما فإنكم ستحبونها هكذا...

(دراماتوكسين!)

قصص/ دراماتوكسين

01|| على بعد خطوة من الموت 13
02|| انتحار..... 23
03|| الرجال من بنها والنساء من باريس 31
04|| مؤامرة..... 37
05|| ما استطعتم 51
06|| سارة 57
07|| الكابوس 63
08|| ومن يومها ولا جالنا..... 77
09|| الفراشة 85
10|| ساعة واحدة..... 91
11|| Q NET..... 99
12|| الفريسه إنتي..... 105
13|| الرسالة 113
14|| قلب كلب حلب 121
15|| يوم من عمري..... 127

على بعد خطوه من
الموت

01|| على بعد خطوة من الموت

في فجر جديد ليوم من الأيام، وفي أحد السجون العمومية المشهورة، وقبل ساعتين من تنفيذ حكم الإعدام... خطوات سريعة تتجه نحو غرفته حيث يجلس مجدي وحيدا مرتديا زي الإعدام أحمر اللون يستمع إليها وهي تقترب منه حتى قام أحدهم بفتح باب الغرفة ليجد مجدي و اقفا خلفه مباشرة واضعا يده في جيبه وهو يبتسم ابتسامة خفيفة للو اقفين أمامه قائلا:

– هل حان الوقت؟

لبضعة ثوان تجمد كل من أمام الغرفة وكأن مجدي هو من سيذهب بهم لغرفة الإعدام، ثم قال أحدهم:

– بالفعل يا مجدي، لقد حان الوقت هيا بنا.

نظر مجدي إليهم و ابتسامته لا تفارقه قائلا:

– إذًا، هيا بنا.

في مثل تلك الأوقات يكون السجين منهارا لا يتحكم في أعصابه، ولا يستطيع إلا البكاء، وتسيطر عليه هيستيريا البقاء، فهو على وشك أن يفقد حياته، أن يفارق الهواء والماء والمقربين إليه، أن يفارق كل شيء وللأبد...

أن تنتقل لحياة لا تعرف عنها شيئا أمر مرعب بالتأكيد، أن تذهب للمجهول، لكل من سبقوك إليه دون أن تعرف إلى أين ذهبوا و أين استقروا أمر مقلق وقاتل في حد ذاته، ألا تستطيع التنفس مرة أخرى، وأن تعرف ميعاد آخر نفس هو الجحيم بعينه، لكن أيا من ذلك لم يبد على مجدي حتى أن من حوله لم يضطروا إلى الإمساك به ولا لوضع القيد الحديدي في يده.

كان مجدي أكثر هدوءًا من جميع من حوله، لم تفارق ابتسامته وجهه، وكانت يده ما زالت في جيبه بطريقة تنم عن عدم اللامبالاة، وكان كل من حوله ينظر إليه باستغراب شديد وبصمت شديد إلى أن قطع هو صمتهم قائلا:

– كم تبقى من الوقت؟

رد عليه المأمور:

– ليس الكثير يا مجدي لتتعامل ببرودك هذا، نحن بصدد تنفيذ حكم الإعدام فعلا، وليست تلك تجربة لهدمك نفسيا، وليس بالقليل أيضا إن أردت تناول فنجان أخير من القهوة.

– أكون شاكرا لك لو كانت مع سيجارة وكوب ماء بارد.

– ولو أني لا أجد مبررا واحدا لطريقتك الغريبة إلا لو كنت تفكر بالهرب، ولكن ليست هناك مشكلة طالما كنت داخل أسوار السجن، أمامك نصف ساعة تقريبا، بإمكانك تناول فنجان القهوة الذي تفضله خلالها في مكتبي الخاص، وسيكون معك أمين الشرطة خالد لحين انتهائك منه.

– أنت كريم جدا سيدي المأمور، لا أريد أكثر من ذلك.

بعد دقيقتين كان مجدي جالسا على الأريكة الخاصة بمكتب مأمور السجن والأمين خالد بجواره الذي دعاه الفضول لسؤاله:

– ألا تخاف؟

– ومم أخاف؟

– من الموت!

– وما الذي يخيفني منه، أنا لم أرتكب جريمة القتل تلك، فإن عشت فهذا الطبيعي لجرم لم أرتكبه، وإن مت فأنا على حق، ولن يضيع حقي في الحياة الأخرى أيا كانت.

– أتريد أن تقنعني أنه بعد صدور حكم نهائي ضدك وثبوت جميع الأدلة في حقك ما زلت بريئا من دم القتيلة، لقد كانت أشهر قضية في العام قبل الماضي حتى أن الكاميرات قامت بتصويرك و أنت داخل إلى شقتها قبل مقتلها بدقائق.

– كان شبيها لي فعلا حتى أني توقعت أني هو، ولكن كيف أثبت ذلك لغيري.

– ليس لي دخل بذلك.

لحظات صمت عقبها دخول أحد الأفراد بفنجان القهوة وعلبة سجائر وكوب ماء بارد، وضعها وخرج ليكمل الأمين خالد إخراج فضوله لمجدي قائلا:

– لقد كانت آخر مكالمة لك ليلة أمس، فمن كنت تتكلم معه؟ و أنا أعلم أنك وحيد منذ فترة كبيرة.

قام مجدي بإشعال سيجارة بهدوء شديد، وارتشف رشفة من كوب القهوة مرجعا رأسه إلى الخلف وهو يدخن سيجارته بهدوء شديد وعمق مبالغ فيه، إلى أن قاطعه الأمين خالد مجددا:

– مع من كنت تتكلم؟

– مع القدر يا عزيزي، مع القدر.

– إذًا، أنت لا تريد إخباري، ولكن هل من الممكن على الأقل أن تخبرني بما تفكر به الآن، إنها المرة الأولى التي أرى فيها شخصا على بعد خطوات قليلة من حبل المشنقة ويملك مثل برودك.

– سأصدقك القول، أنا أفكر بمكان أذهب إليه بعد خروجي من هنا، وكيف سأقضي باقي حياتي سعيدا.

ضحك الأمين خالد ضحكة كبيرة من قلبه قبل أن يستطرد قائلا:

– والله أنا لم أجد شخصا في حياتي في راحة بالك وخفة ظلك!

ابتسم مجدي مجددا وهو يطفئ سيجارته بهدوئه المعتاد قبل أن يدخل المأمور ليقطع حديثهما قائلا:

– أمستعد يا مجدي؟

– على أتم الاستعداد، هيا بنا.

وقف مجدي في هدوء ذاهبا معهم إلى غرفة الإعدام وسط ذهول الجميع من موقفه، وتمت الإجراءات سريعا، وكان آخر ما رآه الجميع

ابتسامة مجدي إليهم قبل أن يوضع القماش الأسود على رأسه، وكالعادة تم لف الحبل حول رأسه، وشد وثاقه، وكذا ربط يدي مجدي من الخلف لتبدأ تلاوة الحكم عليه قبل تنفيذه...

قبل إتمام الكلمات الأخيرة لتلاوة الحكم سمع الجميع وقع خطوات شخص يجري إليهم بسرعة، ليدخل غرفة الإعدام ممسكا في يده ورقة، ويفاجئ الجميع بقوله:

– سيادة المأمور، أوقف تنفيذ الحكم فورا.

كانت الورقة من مكتب النائب العام، وكان محتواها أنه بالأمس تقدم أحدهم بدليل جديد في القضية يفيد تواجد مجدي خارج البلاد أثناء ارتكاب الجريمة وفق ما أقر مجدي في التحقيقات، وتؤكد وقف تنفيذ الحكم وإعادة إجراءات المحاكمة.

كان هذا ما تلاه المأمور على مسامع الجميع قبل أن يصعقوا مما سمعوه قبل أن يقوموا بفك الحبل من على رقبته، ويزيلوا غطاء وجهه الذي كان ما زال مبتسما إليهم في هدوء شديد.

كان ما تلا ذلك من وقت غريبا على الكل، ولم يصادفوه في حياتهم من قبل إلا مجدي الذي كان يعرف ما يدور تحديدا.

تقرر بعد فترة خروج مجدي من محبسه الجديد بعد تقنين الإجراءات واستبعاده من الجريمة المرتكبة، والتي قُيِّدت ضد مجهول.

أثناء خروج مجدي من باب السجن كانت هناك سيارة تنتظره بخارجها، ونزل سائقها ليفتح باب السيارة الخلفي له، وقبل ركوبه لها وجد الأمين خالد و اقفا بجوار السيارة معتذرا لمجدي عما ظنه به:

– أنا آسف جدا، لقد ظلمتك واعتقدت أنك القاتل، لكن القدر لم يشأ أن يظلمك، فتقبل اعتذاري.

ابتسم مجدي للأمين خالد و اقترب منه هامسا بأذنه:

– ليس القدر يا عزيزي، أو ربما هو، ولكنها المكالمة التي أجريتها قبل تنفيذ الحكم بيوم.

– لم أفهم ما تريد قوله.

– لقد كنت أتأكد أن شركة الطيران الخاصة والتي يملكها أحد أصدقائي قامت بعملها على أكمل وجه لإثبات تواجدي خارج البلاد في فترة حدوث الو اقعة، ولن أخبرك بأن المحامي الخاص بي قام بباقي الإجراءات على أكمل وجه، وفي الوقت المناسب.

انسحب وجه الأمين خالد وبدا عليه الذهول الشديد قبل أن يستطرد مجدي:

– نعم يا عزيزي، أنا من قمت بقتلها، ولكن أتعرف؟ العدالة تقتضي أن أكون خارج أسوار السجن لأن الورق يقول ذلك، أما الحق فلا يعرفه إلا الله و أنا و أنت، ولنترك المسألة له، أما الآن فأنا لدي نصف ساعة لأغادر البلاد وللأبد.

ترك مجدي الأمين خالد و اقفا وهو لم يفق من صدمته قبل أن يركب سيارته وينزل جزءًا من زجاجه الخلفي ليقول للأمين خالد والسيارة تبدأ في التحرك:

– إنها العدالة يا عزيزي.

– إنه القدر.

انتحار

02|| انتحار

ما قبل النهاية

وقف ينظر إلى الأرض من أعلى العقار الذي يسكنه وتكسو ملامحه خيبات أمل سنو اته القليلة الفائتة التي اعتقد أنه لم يسعد خلالها.

القرار الذي اتخذه بعدم إكمال حياته لم يكن يحتاج إلى وقت كبير للتفكير فيه، استنشق الهواء بعمق للمرة الأخيرة، اتخذ قرارا أخيرا بالموت سيطر على جل عقله حتى أنه نسي الدافع من رغبته، وألقى بجسده.

(الطابق العاشر)

راح ينظر إلى تلك الشرفة المفتوحة على مصراعيها، لا يخشى قاطنوها أن يراهم أحد، ولم لا وهم في الطابق الأخير، وليس أمامهم شيء آخر سوى نسمات الهواء المنعشة، والفراغ المطلق الذي أضاف مزيدا من الحرية لساكنيه.

كان هناك زوج يحتضن زوجته على الأريكة ويهتف لها في أذنها بكلمات كان يتمنى أن يسمعها، ولكن أثرها كان واضحا على وجهها وهي كالقمر البدر في ليلة ظلماء، لم يكن قد تزوج بعد، ولكنه وفي تلك اللحظة بالذات تمنى أن يكون متزوجا، وراح المشهد يختفي تدريجيا وهو يقترب من الطابق أسفله.

(الطابق التاسع)

طفلان لا يتعدى سن أكبرهم الخامسة من العمر يجريان بفرحة عارمة، يجوبان المنزل بألعابهما فرحين بها، وصوت ضحكاتهما جعله يبتسم رغما عنه، كان يمتلك الكثير من تلك الألعاب يوما ما، ولكنه نسي ملمسها، و أين ذهبت بعد أن ودع سنوات طفولته، كانت هناك لحظات حلوة كتلك ليتذكرها، ولكنه اختصرها جميعها في مشهد الطفلين أمامه، ثم نسيها سريعا بمجرد اقترابه من الطابق الذي يليه.

(الطابق الثامن)

كانت إضاءة الغرفة أمامه خافتة وبداخلها يجلس أحد الشباب على مكتبه الصغير منهمكا في قراءة أحد الكتب، ربما كان يذاكر إحدى تلك المواد التي يدرسها، أو ربما كانت إحدى القصص أو الروايات التي كان يتمنى قراءتها يوما ما، أيا ما يكن فيبدو أن ذلك الشاب سعيد بما يفعله وإلا لما كان منهمكا في قراءة ما بيده، كان يتمنى فقط أن يعرف ما يقرأه لولا أن زال المشهد من أمام عينيه.

(الطابق السابع)

كان ينتظر مشهدا آخر يتابعه، اشتياق ما فات أنساه ما هو فيه، كانت الشرفة مُغلَقَة ومظلم ما بداخلها، كان يتمنى أن يرى أحدهم، راح يفكر فجأة في منظر الظلام الأبدي، منظر مؤلم أن ترى الظلام بعد كل مظاهر الحياة الفائتة، تمنى أن يرى كتابا آخر أو إحدى اللعب المنثورة أرضا ويلتقطها ويلعب بها، أو يداعب أحدهم لآخر مرة... كان الظلام مرعبا بلا شك، ولكن...

(الطابق السادس)

قاطعت ظلامه تلك الفاتنة التي تكبره بعامين وهي تقف في نافذتها واضعة هاتفها على أذنها وهي تبتسم، لطالما تمنى أن يتكلم معها وأن يذوب فارق السن بينهما. كان يعلم أنها تهاتف حبيبها لمرات، تمنى أن تهاتفه هو وأن تبتسم تلك الابتسامات لكلامه، سحر وجهها أنساه الظلمة وعيناها وهي تنظر إليه بخوف وصدمة جعلته سعيدا اعتقادا منه أنها تخشى عليه من الأذى، شفتاها وهي تتكلم أنسته الفائت من الحزن والقادم من ألم، تمنى أن يقف الزمن ها هنا، ولكنه كان قد تخطاها.

(الطابق الخامس)

ما زالت والدته جالسة على سجادة الصلاة وعيناها ما زالت تدمع في غرفتها التي خلت إلا من إضاءة وجهها، وكأنه يسمع دعاءها المتكرر له بالهداية، أراد أن يصرخ ولكن صراخه لن يفيد كما أنه لم

يجرأ على تحريك شفتيه في تلك اللحظة، فقط شعر بالحنين الجارف إليها رغم تركه لها منذ دقائق، أراد أن يحتضنها ولو حضنا أخيرا يعتذر لها عن بكائها الفائت والقادم. لو توقف الزمن ها هنا لمسح عنها دمعها وكان خادما لها.

(الطابق الرابع)

صديق عمره ما زال يتشاجر مع والده بحدة في شقتهما، وكما العادة أراد صديقه مالا أكثر من والده، ليت الفرصة واتته ليشرح لصديقه أنه يحارب في المعركة الخطأ، ليته أعلمه أنه أخيرا فهم السعادة، هي ليست في تلك الصرخات لوالده، وإنما في لعبة الطفل، وفي رواية الشاب، وفي نظرة الفتاة، وفي دموع الأم، ليته كان يملك الوقت لينصحه.

(الطابق الثالث)

ذلك التلفاز اللعين لم يكن يتعين أن يكون مفتوحا بذلك الصوت العالي، كان يبث أحد الأفلام الجديدة التي طالما تمنى رؤيتها منذ نزولها، وكان بطله المفضل يظهر على الشاشة وهو ينظر في اتجاهه وكأنه يقول له: لماذا تركتني، لقد صنعت هذا العمل لأجلك، هناك مشهد رائع في النهاية كان يتوجب عليك مشاهدته، كان يتمنى أن يكمل معه الحوار لولا أن غاب بطله عن عينيه وللأبد.

(الطابق الثاني)

ما زال هذا العجوز جالسا على المنضدة في منتصف شقته وينظر إلى الفراغ، كان قد تجاوز التسعين من عمره وكأنه ينتظر النهاية في هدوء حتى في لحظات النهاية، تمنى أن يكون مكانه، لماذا لم ينتظر حتى يبلغ ذلك العمر مثله ليموت عجوزا هادئا في فراشه، كل فارق العمر بينهما كان يمكن له أن يعيشه، كان سيقرأ مزيدا من الروايات وربما راق لفتاته الحسناء يوما وجلس معها يداعبها على الأريكة وهي تبتسم، وبينما أطفاله يلعبون من حوله بفرحة عارمة، لماذا؟ ولماذا؟ ولماذا أقدم على فعلته؟

(الطابق الأول)

شارفت النهاية وهي تصر أن يكون المشهد أصعب ما يمكن تخيله، كانت الشرفة مفتوحة عن آخرها، وكان أمامه مباشرة مرآة كبيرة الحجم، ما هذا العذاب؟ وجد العرق يتصبب منه أمطارا، ونظرات الفزع والحزن والأمل تكسو وجهه في مزيج مرعب، كانت الحقيقة بشعة، وكان المنظر مؤلما، وللحظة توقف المشهد وهو ينظر لنفسه، سقطت منه دمعة؛ رآها تسبقه إلى حيث سيسقط جسده، وكأنها أرادت أن تخفف عنه ألم الارتطام، وكان النفس الأخير وكانت نهايته وللأبد.

(النهاية)

الخائب الذي ألقى بنفسه من أعلى سطح الطابق العاشر أثناء سقوطه راح يرى عبر النوافذ حيوات جيرانه الخاصة... المآسي المنزلية الصغيرة، علاقات الحب السرية، لحظات السعادة الخاطفة التي لم تصل أخبارها أبدا إليه؛ بحيث أنه في اللحظة التي تهشم فيها رأسه على رصيف الشارع.

كان قد غير نظرته للعالم كليا، وكان قد اقتنع بأن تلك الحياة التي هجرها إلى الأبد عن طريق الباب الخاطئ كانت تستحق أن تُعَاش.

الرجال من بنها
والنساء من باريس

03|| الرجال من بنها والنساء من باريس

في الكتاب الشهير (الرجال من المريخ والنساء من الزهرة) مئات علامات الاستفهام، ومئات الأسئلة والأجوبة حول فهم المرأة للرجل، والعكس في معشر النساء؛ تجد أن معظمهن يفهم بعضه الآخر، وكذا في معشرنا نحن الرجال يفهم بعضنا الآخر، ولكن تحدث المشكلة فعلا حينما يحاول كل من الرجل والمرأة فهم بعضهما البعض، صدام عقلي عجيب يتو افق ويختلف وفقا للأهواء وجينات كل منهما.

دعوني قبل البدء أن أوضح شيئا في عالمنا نحن الرجال: عندما نجلس مع بعضنا البعض، ولو لم يكن هناك شيء هام نتحدث عنه، أو ثمة حاجة مفضلة تستهوينا للحديث عنها نتحدث عن المرأة، ومن خلال مئات الأحاديث والمو اقف توقفت على حقائق هامة:

الرجل غالبا لا ينظر إلى قلب المرأة أولا، ولا ينظر إلى روحها ولا إلى طباعها...

الرجل ينظر إلى وجهها؛ هل هو من النوع الذي يستهويه أم لا...

الرجل ينظر إلى ثنايا جسدها؛ هل هي المفضلة إليه أم أن هناك أحسن من ذلك...

الرجل ينظر إلى طريقة حديثها ونعومة صوتها، وهل يناسبه ذلك إن هاتفته أو تحدثت معه أم لا...

الرجل لا يشبعه نوع واحد، فالمرأة بالنسبة له كالفاكهة إن جرب التفاح مثلا فلماذا لا يجرب نوعا آخر؟ من المؤكد أن تكون الفاكهة الأخرى لها طعم حلو يريد تجربته حتى وإن كان لا يزال يفضل التفاح...

الرجل يبحث عن المادة لا المضمون، الرجل يحب قبل أن يحب، ويكره قبل أن يحب، ويترك بعد أن أحب إن لم يكن قد بدأ بالحب...

معشر الرجال تجدهم يتحدثون عن المرأة وكأنها صيد يجب اصطياده، وأحيانا يتنافسون عليها ويفتخرون بينهم بعد اصطيادها، ومن معشر الرجال من يصل أولا فيفوز بالصيد، ومن يصل أخيرا فيأكل الذيل، وإذا فُضِحَت امرأة لفعل فعلته يتهافت الجميع لمعرفة نوع الفضيحة، وتداولها ونشرها، ويتكالبون على أنوثتها فيزيدون ضعفها ضعفا، ويكسرون ما تبقى لها من مشاعر الأنثى.

إذا تمكن أحدهم من جسدها كرهها وتركها وكأنها أصبحت غير صالحة للاستعمال، هو أراد جسدها وهي أرادت عطفه وحنانه، أرادت اختلافه حتى ولو كان كذبا، هي تحتاج إلى من يفهمها، من يتقرب إلى أذنيها ليخبرها كم يعشقها، وهو يريد أن يتقرب إليها ليخبرها كيف سيكون نذلا معها، هو يرى لنفسه الحق في ذلك، وكيف لا وهو الرجل يفعل ما يشاء، وبعد أن يأخذ ما أراد يراها مخطئة في حق البشرية، ويجب انتهاك أخلاقها، فلا هو أعطاها ذلك العطف، ولا هي أصبحت تملك شيئا منها، وكأن المرأة فقط هي السبب، وكأنه لا يخطئ، وكأنه لم يكن السبب في جعلها كذلك.

ما أصعب أن يطمئن المرء لشخص سيخذله هذا النوع من الرجال!

للأسف يشكل الأغلبية العظمى منهم، لا أريد أن أكون جارحا أو مكثرا، فمما أراه وأسمعه يوميا من مئات المئات من الشباب والرجال الذين جلست معهم، ومهما ظهر منهم من شخصيات وأشكال واختلاف مظاهرهم وطريقة تكوينهم، إلا أنه وفي النهاية تحدث مئات النهايات الحزينة المؤلمة نتيجة لأفعالهم وطريقة تفكيرهم سالفة الذكر...

قليل فقط منا يرى المرأة بمنظور آخر قليل فقط من يرى ضعفها ويشعر بأنوثتها ويسمع حديثها قبل أن يرى وجهها، ويصل إلى روحها قبل جسدها، قليل فقط من يعرف قيمة ذلك الكائن، ويحس بوجوده ويستشعر احتياجه، قليل فقط من يتمنى إرضاء غريزتها بحنانه لا بجسده، ويضمها إليه ليحتضنها ويستشعر دفئها، ويمدها بعطفه لا بهواجس مريضة لا تأتي إلا لأمثال من ذكرتهم.

غريب هو النوع الذي يرى نفسه حيوانا خُلِق لإشباع غرائزه وليس لإكمال نواقصه!

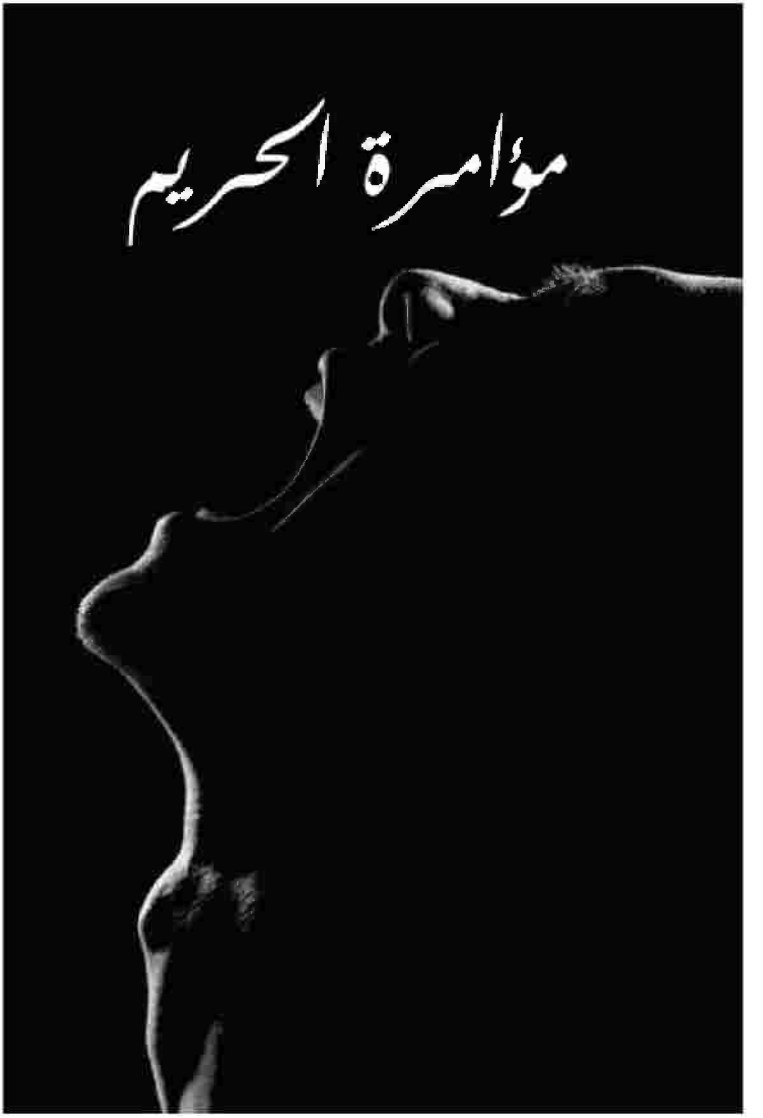
مؤامرة الحريم

04|| مؤامرة

الحريم هناك وفي أحد أيام تلك المدينة الخالدة كانت طيبة تستعد لحدث عظيم على وشك الحدوث، نيران عظيمة مشتعلة في منتصف بهو قصر الملك رمسيس الثالث؛ أحد أعظم ملوك الفراعنة...

الصمت يسود البلاط الملكي بأكمله، والعرق يتصبب من ثلاثين شخصا كانوا يقفون في خزي واضح في دائرة حول تلك النيران....

كان الملك ينظر إليهم بعيون متعبة يملأها الإصرار على الانتقام منهم، وكانوا يقفون بجهد واضح يحاولون اخفاء أعينهم التي امتلأت معظمها بدموع صامتة عن أعين الملك، مئات المصريين يقفون عن بعد ير اقبون المشهد في توتر ممزوج بقلق وخوف شديدين.

اخترق ذلك الصمت إشارة الملك الواهنة لأحد كهنة آمون، الذي تقدم إلى البلاط الملكي مشيرا بيده إلى الحراس الذين شرعوا في إلقاء أول المتهمين الثلاثين في حلقة النار أمام مرأى وبصر الجميع، وتعالت الصرخات من أنحاء متفرقة، وتصاعدت أصوات الطبول تدريجيا معلنة انتهاء المؤامرة وبداية الحكاية.

ربما كان المثل الفرنسي الشهير [فتش عن المرأة] فرعوني الأصل، وربما كانت بدايته هي تلك الأحداث، لم تكن الملكة تي ثاني

زوجات الفرعون المصري تختلف عن أي امرأة أخرى، هي فقط أرادت أن يكون نجلها بنتاوير هو الفرعون القادم بدلا من نجل زوجته الأولى إيزيس، تلك الغيرة القاتلة والرغبة في السلطة تجعل من الطيب متآمرا، ومن الضعيف قاتلا.

راحت تفكر مئات المرات في الطريقة المثلى لتحقيق مرادها، وضم ما يمكن ضمه لصفوفها، حتى يتسنى لها تنفيذ مخططها، اليوم سيبدأ الاحتفال الذي طالما احتضنته طيبة بانتصاراتها، اليوم هو الأنسب لتنفيذ ما تفكر به، راحت تطرق باب ساحر البلاط وهي ممسكة بنجلها في يدها، وما إن فتح حتى قالت له هامسة:

– اليوم سنحتفل سويا، لا تدع أحدا يفلت من سحرك.

ابتسم ابتسامة خفيفة مربتا على كتف نجلها قائلا:

– لا تقلقي، سأبهر الجميع بسحري.

أردفت قائلة:

– الجميع في بهو القصر ينتظرون.

ابتسم مرة أخرى وهو يردد:

– أنا دائما في خدمة فرعون مصر العظيم.

كانت خطواتها سريعة نحو الاحتفال الذي يقيمه زوجها أسفل القصر الملكي، راحت مئات الأفكار تراودها عن المستقبل القريب إذا ما نجحت خطتها، ولكن ماذا إن فشل مخططها في الإطاحة بالملك، توقفت فجأة، ونزلت على ركبتيها وهي تنظر لعيني نجلها مباشرة قائلة له:

– بنتاور، أريدك قويا اليوم، ستصبح ملك مصر، ومهما حدث تذكر أني ما فعلت هذا إلا لأجلك، لا ترحم أحدا، و اقتل كل من يعارضك، أنت فرعون مصر القادم.

وكانت محقة في كلماتها، فاليوم سيبدأ الاحتفال الكبيروالاحتفال الأخير.

بطيء هو الوقت الذي تمضيه في انتظارشيء!

كانت تي قد استقرت على قيام ساحر البلاط بأعمال تعويذاته على حرس البلاط الملكي، وإلقاء سحره بهم حتى يتسنى لها إكمال خطتها بالسيطرة على القصر، والتخلص من الملك، كل شيء كان معدا له سابقا، فقط الوقت هو الذي كان يحرمها من لذة الانتصار.

مضت ساعات منذ بداية ذلك الاحتفال، الجميع بدا عليه الإرهاق، حتى الملك وحراسه ورهبانه بدا عليهم التعب الشديد، كل الأمور تسير في مجراها الصحيح، أخذت تر اقب بعينيها المشهد كاملا، وتعيده مرات ومرات منتظرة سيطرة شركائها على القصر.

قاطع ترقبها قدوم أحد حراس الملك مهرولا من داخل القصر والدماء تسيل من فمه صائحا:

– مولاي الملك، خيانة، خيانة من داخل قصرك يا مولاي!

ساد الذعر على وجوه الجميع، بينما شحب وجه الملكة حد الزرقة، وأمسكت بيد نجلها بقوة، وقد أدركت أنها النهاية: نهاية المؤامرة.

كان يوما عصيبا بلا شك في تاريخ حكم رمسيس الثالث، الحفلة انتهت بخيانة من داخل قصره، بالطبع لن تنسى طيبة تلك الليلة من تاريخها، وستحكيها عن كثب لكل أجيالها القادمة، فشلت المؤامرة التي وضعتها تي مع ساحر البلاط، وتم القبض على منفذيها، تم تكبيلهم جميعا، ووقفوا في خزي واضح أمام الملك الذي أخذ ينظر في وجوههم عن كثب قائلا:

– اليوم ستندمون على فعلتكم، على جرأتكم، على تصوركم أنكم ستهزمون فرعون مصر، اليوم ستشهد الآلهة على مقتلكم، سنكتب بدمائكم النجسة قصة خيانتكم على كل معابد طيبة، كيف وصلت بكم الدناءة على اجتياز حدودكم؟ بقدر خيانتكم سيكون الجزاء، في الصباح وأمام الجميع ستكونون درسا لن يُنْسَى، وستُحرَقون جميعا أمام أعينهم، ولتكن جثثكم رمادا إلى أن تلقى الجحيم الأبدي.

كانت تي تتابع ما يحدث وهي تتصبب عرقا، كانت تعرف أن الأمر لن يتجاوز الصباح حتى يتمكن رمسيس من معرفة أنها وولدها مشتركان في تلك المؤامرة، بضع ساعات كانت ستمثل لهما ملكا جديدا وتاريخا جديدا في حكم مصر هي نفسها بضع الساعات التي تنتظرها لكي تلقى حتفها، لم يكن أمامها إلا الهرب أو الاستسلام، ولكنها تعرف أنها في الحالتين ستموت هي وكل من شاركها من حريم القصر، ومن تم القبض عليهم...

– إذًا، فلتكن تلك آخر محاولة لي.

قالتها تي وهي تنظر إلى أحد وصيفاتها، ثم همست لها:

– اليوم سنقتل الملك!

الاقتصاد ضعيف، الضرائب باهظة، والدولة أنهكتها الحروب، والعمال يتذمرون من حين لآخر، القصر يفكر بالانقلاب ضده، حتى انتصارات الملك وتاريخ والده لم يعودا شفيعين له، ظنه بأن الاحتفال الأخير سيذيب بعضا من الثلج المتجمد بينه وبين شعبه لم يفلح، بل كان الاحتفال ميتما، والاعتقاد بغد مشرق هو ضرب من ضروب الخيال، لم يعد هناك إذا متسع للرحمة، إما السيطرة على زمام الأمور، أو ضياع الملك للأبد، لا بد من معرفة من معه، ومن عليه.

جالت كل تلك الأفكار بخاطر الملك وهو يرتدي زيه الحربي، وانطلق في طريقه إلى سجن القصر ومن خلفه حراسه في خطوات سريعة إلى أن وصل إلى مكان تواجد المحجوزين، فراحت عيناه تبث رعبا في عيونهم.

ساد الصمت المكان لفترة والملك يتجول وسط المحجوزين إلى أن وصل لساحر البلاط، وأمسكه بقوة من شعره من الخلف، واقترب من أذنه قائلا:

– ما قولك إن كنت مكاني، هل كنت ستظهرلي بعضا من الرحمة؟ أم أنك كنت ستذيقني العذاب ألوانا؟ لا تجب، سأوفر عنك العناء وأجيبك، بالنسبة لكونك ساحر البلاط أعتقد لكنت ألقيت عليَّ تعويذاتك حتى أموت رعبا، أو ربما قمت بغمس رأسي في الماء عدة مرات، أو اقتلعت أظافري، أو ربما على الأكثر قطعت أطرافي لأنزف حتى الموت أمام ناظريك، ولكن الموضوع مختلف الآن، فأنا من يقف هنا وأنت بين يدي، ما بالك بكيف يتصرف الملك مع أمثالك.

حاول ساحر البلاط الرد بصوت مرتجف قائلا:

– سيدي، لقد اختلط عليك الأمر...

قاطعه الملك سريعا:

– هسس... لا تتكلم أنت، هكذا تزيد من عذابك، ألا تريد أن تتطهر قبل موتك؟ أم أنك تفضل الجحيم دائما، نسيت أن أكمل لك كيف لي أن أتصرف معك.

– الرحمة يا سيدي.

– الرحمة؟ اختيار صائب، و أنا أفضل الرحمة، سأعقد معك صفقة، وستنال إعجابك بالطبع، سأمنحك الرحمة دون عذاب، ها ما رأيك؟ ستموت غدا بكل هدوء دون أدنى عذاب، فقط أخبرني عن المتآمرين، تلك هي الصفقة.

بعين باكية أجاب أخينوس:

– ليس هناك من أحد يا سيدي.

– أخينوس؟ أنت لن تتحمل صب الرصاص المنصهر في فمك وأذنك وعينيك، صدقني سيكون عذابك أليما كما أنك لن تقنعني بتلك التفاهات أنت تعلم أنك أجبن من ذلك بكثير و أنا لن أترجاك، للمرة الأخيرة: من معك؟

انهار أخينوس من لهجة الملك ووعيده بالعذاب الذي يعلم قسوته وأجاب:

– إنها الملكة تي يا سيدي، أرادت إنهاء حكمك وتولية ابنها العرش بدلا من ابن الملكة إيزيس، أقسم بآمون أني أُجْبِرت على ذلك، لقد هددتني...

– لا تبرر، يكفي ما قلت، لا أحتاج لأكثر من ذلك على الإطلاق... أيها الحراس فلتكتفوا بقطع أيادي هؤلاء الملاعين وأغلقوا جروحهم بالرصاص وأعدوهم لحفل شواء عظيم في الصباح الباكر، فأسود القصر جائعة وكلابها ستحب لحمهم المشوي بالتأكيد، وليدعو أحدكم الملكة تي في هدوء إلى غرفتي حتى أعطيها درسا ملكيا لن تنساه.

تلك المرأة التي كانت خطوتها تحفها العطور، وتتزين بأحسن الملابس وعيناها تتلألأ بكحل فرعوني ساحر، وتسبقها وصيفاتها في كل مكان مشت وحيدة في ذلك الممر بين خطوات حراس الملك المقيتة، كانت خطواتهم سريعة، وكانت نبضات قلبها تتزايد مع كل خطوة جديدة، هي تعلم بكل تأكيد أن النهاية حتمية، وأن مؤامرتها كُشِفَت بكل تأكيد، لا يهم الآن ما سيحل بها، الأهم هو مصير ابنها.

راحت تراجع كل ما حدث، تذكرت، ندمت، تألمت، تعلمت، ولكن كل هذا لن يجدي نفعا الآن، الآن وآه من الآن!

فتح الحراس باب غرفة الملك لتجد تي الملك أمامها جالسا على أحد كراسي الغرفة في مواجهتها وبجانبه ولدها يجلس أرضا وهو ينظر إليها بحنين جارف، قاطع تأملها الملك وهو يقول:

– تقدمي.

وقفت أمامه في لحظات صمت تراقب عينيه تارة، وتراقب نجلها تارة أخرى، وأخذ هوير اقب تحركات عينيها رغبة منه في إضفاء مزيد من الرعب بداخلها إلى أن قاطع صمتها:

– أتعرفين يا زوجتي العزيزة، حاول أحدهم ذات مرة أن يتخلص من والدي، مجموعة من الفلاحين المتمردين، كانوا يعتقدوا بقدرتهم في التخلص منه، هنا أيضا في طيبة يبدو أن هذه الأرض ترفض الخيانة، المشكلة هنا ليس في كشفها للخونة، المشكلة الحقيقية تكمن في أن أرضها الطاهرة ارتوت بدمائهم الملعونة، لماذا أقدمت على محاولة التخلص مني؟

– أنا فقط كنت أريد أن أحافظ على نجلي، أنت تعرف أنني أحبك...

ضحك الملك بصوت عال مقاطعا إياها:

– أي حب ذلك الذي يجعلك تتآمرين للتخلص من حبيبك؟ لا بد أني أخطأت حينما فكرت في الزواج من دماء غير ملكية ملعونة مثلك، آه، بالحديث عن الحفاظ على نجلك أو نجلنا، أيا ما يكن، نسيت أن أسالك: هل تعرفين كيف تخلص والدي من هؤلاء الفلاحين؟ هل تعرفين؟

– لا تحاول أن تحدثني بتلك الطريقة. إنه نجلك...

– الخائن؟ نجلي الخائن الذي أراد أن يقتل والده ليجلس مكانه بمساعدة زوجتي الخائنة التي أرادت أن تهزم الفرعون من أجل ولدها، كم أنت غانية! أيها الحراس فلتقيدوها وأمسكوا بها جيدا، واضمنوا أن عينيها لن تغمض عن ذلك المشهد العظيم...

أمسك الحراس بالملكة تي وأجثوها على ركبتيها، وأخرج الملك خنجرا من بين طيات ملابسه وأمسك بنجله من الخلف بينما جحظت عينا الملكة وهي تصرخ:

– ويحك! ماذا تفعل؟

عاجلها الملك مقاطعا:

– سأقتل ملك المستقبل، سأقتل الفرعون القادم أمام ناظريك أيتها الخائنة.

وبكل برود ذبح الملك نجله بنتاور أمام والدته، وراحت الدماء تغرقها، ورأت نجلها وهو يموت أمام ناظريها وعيناه تشع رعبا غير قادر على تحريك يده، أو التعبير عن ضعفه وألمه، وأخذ لسانه يتحشرج وهو يحاول النداء على والدته لإنقاذه، وبات مشهد صراخها أمامه هو المشهد الأخير قبل أن تنطفئ عيناه للأبد.

– أقسم أنك ستموت اليوم، لن تعود ملكا بعد اليوم، سأقتلك، سأقتلك...

راحت الملكة تي تصرخ بتلك الكلمات، بينما أشار الملك لحراسه بأخذها قائلا:

– غدا ستلحقين به، مجرد ساعات إضافية من الصراخ والعذاب، وسأحرقك بدون شفقة مع باقي أعوانك... ارموا ذلك الخائن خارجا ونظفوا تلك الدماء.

ذهبت الملكة تي إلى مصيرها المحتوم، وهي تتمتم بكلمات عاجزة عن التصرف، بينما دخلت خادمات القصر إلى غرفة الملك وراحت

تنظف الدماء المتناثرة أرضا إلى أن ذهب الحراس بعيدا، وراح الملك في تعب شديد يلقي بجسده على سريره، وأغمض عينيه، وراح يفكر في غد.

سيكون يوما مشهودا لكل من تسول له نفسه الاقتراب منه، غدا سيبدأ عصر جديد.

كانت الخادمات الستة التي تنضف الأرض تتابع الملك في ترقب إلى أن ألقى بجسده على سريره وأغمض عينيه، فنظرت كل واحدة منهن للأخرى، وقامت إحداهن بغلق الباب في هدوء بينما أخرجت أخرى من بين سلتها أفعى السجاد الصحراوية السامة، وأمسكتها بحرص، وراحوا يقتربون من الملك وفي إشارة إحداهن انقضوا عليه ممسكين بأطرافه، ووضعت إحداهن يدها على فمه.

فتح الملك عينيه فجأة ليرى الثعبان في وجهه مباشرة محاولا الصراخ، لكن دون جدوى، اقتربت الخادمة الممسكة بالثعبان من أذنه قائلة:

– لا تخف يا مولاي، أن تموت على يد ثعبانك خير من أن تموت على يد نجلك، و أنت تعلم جيدا أنه بعد أن تلدغك تلك الأفعى ستتألم بشدة لبضع ساعات قبل أن تموت، ولا يهم أن نموت يا مولاي، المهم أن تعرف و أنت تموت أن المؤامرة نجحت، مؤامرة الحريم، وهذا هو انتقامنا لملكتنا.

فُتِح باب الغرفة ودخل الحراس يعدون باتجاه ملكهم في محاولة بائسة لإنقاذه، ولكن القدر كان قد خط سطوره، لدغت الأفعى الملك.

الحرارة شديدة، والسم القاتل بدأ تملك جسده، وراحت عينا الملك تزوغ وهو ينظر إلى المتآمرين يُحْرَقون أمامه. هو يعلم أنه ميت لا محالة، وهو في وهن شديد أقام مراسم إعدامهم قبل الميعاد، هو يعلم أنه سيفارق الحياة، لكن لم يكن يسمح لهم بالشماتة به.

قبل أن يُعدَموا أصر على إحراقهم أمام ناظريه واحدا تلو الآخر حتى يتشفى فيهم قبل موته، تم إعدام الجميع وأصبحت أجسادهم رمادا تنبعث منها رائحة الموت، وجاء دور الأخيرة: الملكة تي التي اقتادها الحرس في مشهد مؤلم لتقف أمام النار وهي تنظر لعيني الملك التي تقاوم بشدة كي تراها وهي تحترق، لم تكن تهتم لموتها، فلم يعد هناك ما تعيش لأجله، ولكنها اهتمت لرؤيته في ذلك الضعف وهو يموت.

أمسكت النيران بجسدها وهي ما زالت تنظر بثبات لعينيه، وراحت النيران تتصاعد لتغطيها في اللحظة التي أغمضت عين الملك رمسيس الثالث فيها وللأبد اليوم.

انتهت المؤامرة: مؤامرة الحريم التي فتحت الطريق لانتهاء الحقبة الفرعونية وبداية نهايتها، وأسدلت الستار عن اللغز الأكثر غموضا في مصر القديمة.

ما أستطعتم

05|| ما استطعتم

لا ما هو أنا مش هكتب تاني

#غزه_بتنضرب_يا_عرب. أصل هقولك ليه؟

بص يا عم أنا من يوم ما عيني وعت ع الدنيا و أنا بنشد وبرفض وبنزل مظاهرات مع أصحابي أيام الابتدائي والإعدادي وياما صوتي اتنبح، بس على الفاضي. كنت أقعد أقول معاهم: افتحولنا الحدود، وواحد اتنين الجيش المصري فين، والجو ده كله بس وبعدين؟

لما شوفت الدره بيموت مت معاه ألف مره، بس لما كل يوم ألاقي طفل بيموت بدأت عيني دموعها تجف، وبدأت أعتاد على أخبار من النوع ده، لحد ما بقيت عيني ما بتدمعش، وبدأت ودني تمل من السماع على الفاضي. زمان كنت أحب أسمع أخبار زي مقتل كام جندي إسرائيلي، وضرب كمين، وسقوط صواريخ على مستوطنات، والمقاومة والكلام ده كله، بس وبعدين؟

لما كبرت بدأت أفهم شويه، إحنا بنضيع وقتنا على الفاضي ليس أكثر. لما كبرت وشوفت العراق بتنضرب اتعاطفت مع جيش عربي بينهارودوله بتحتل وثروات بتتسرق، عيني اتحولت من غزه لبغداد.

يا عرب يا خلق أهو الحقوا العراق! طيب الحقوا بغداد! طيب الحقوا السودان اللي اتقسمت! طيب شوفوا سوريا اللي ادمرت!

طيب ليبيا اللي انهارت! طيب حد يلحق الإرهاب اللي ف مصر! طيب حد يشيل الدواعش من المنطقه! طيب اليمن يا جماعه! يا عم غزه بتنضرب!

غزة إيه دلوقتي؟ ده الشيعه مقطعين السنه ف سوريا!

يا جدعان فلسطين بتضيع! فلسطين؟ إنت متخيل احنا ف إيه و إنت تقولي فلسطين.

يا جماعه إحنا بنقع وإسرائيل ما وقعش عليها صاروخ، وبتضرب ف غزه؟ برده بتقولي غزه بقولك الإخوان مش سايبنا ف حالنا.

بس يا... يا سيدي هي دي الحكايه!

الحلم العربي الكبير بتاع فلسطين والقدس ده اتقسم.

عارف يعني إيه حلمك يتقسم؟ عارف يعني إيه طموحك أن دولتك تتلم؟ الفقر ينتهي؟ التفجيرات تهدى؟ الإرهاب يقل؟

كل دوله دلوقتي بتلملم ف اللي باقي منها، بقى حلمها على قدها تشوف نفسها، وتقف على رجليها.

إحنا فهمنا غلط رغم إن الطريق طول عمره واضح.

سيبنا الطريق الواضح ومشينا غلط.

نسينا، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وتفرقنا.

نسينا، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم، وبقينا نعد لنفسنا قنابل وسلاح نضرب بيه بعض.

فما تكلمنيش عن غزه، واللي مات فيها، والوطن كله مات فيه ألف دره.

ما تكلمنيش عن حماس اللي بتشتري سلاحها من إسرائيل عيني عينك، وبتضرب وهي عارفه إنها ضعيفه، وعارفه إن نتيجة ضعفها هيموت آلاف، ولسه بتضرب، دي مش قوة ولا مقاومه، ده غباء واستهزاء بعقولنا.

ما تكلمنيش عن أي جماعه، وأي تنظيم، وأي قاذورات ملت عضمنا وكسرته وأصابتنا بأحلام ومعتقدات مسرطنه، وهي عمرها ما ضربت نبله على إسرائيل، ولا استهدفتها غير بشعارات ضعيفه عشان تحقق أهدافها.

ما تكلمنيش عن أردوغان وخريطة فلسطين اللي ماشي فرحان بيها وعمال يرفعها ف محافل دوليه، وهو بيحتل دوله عربيه تانيه وبيقتل فيها كام دره تاني.

آه، لسه بنشجب ولسه بندين، ولسه بنقول يا جماعه فلسطين بتضيع وحرام، بس الحرام الأكبر أن تقولوا ما لا تفعلون.

أنا مش أحسن واحد فيكم، ومش حلو أصلا، بس عارف إن فلسطين مش هترجع بهشتاج ولا كوميكس، ولا شوية شتيمه لأفخاي على صفحته، هو أساسا بيستخدمها كيهودي في إن العالم الخارجي يعرف أد إيه إحنا عدوانيين، ويستخدمها كمبرر وكستار للتخلص مننا.

الحقيقة الوحيدة اللي أعرفها إن إسرائيل ورا كل اللي بيحصل في الوطن، هي المستفيد الأكبر من تقسيمنا، هي اللي زرعت داعش

وإدت سلاح لحماس، وهي اللي بتنفذ مخطط علمها الأزرق القذر على حساب نهشنا ف لحم بعض.

عاوز فلسطين؟! كله يبني جيشه ويقويه ويبني جنود بحق.

عاوز القدس؟! كله يقف ورا دولته لحد ما تبقى قويه ف كل المجالات.

عاوز النصر الحقيقي؟! ابعد عن أي جماعه وأي حد بينادي بفرقه وأي كلب بيتمنى فتنه جديده ف أوطاننا.

ولو عاوزين ما تشوفوش دره من تاني، اسمعوا كلام ربنا، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، قبل أن تحاربوهم عن ضعف.

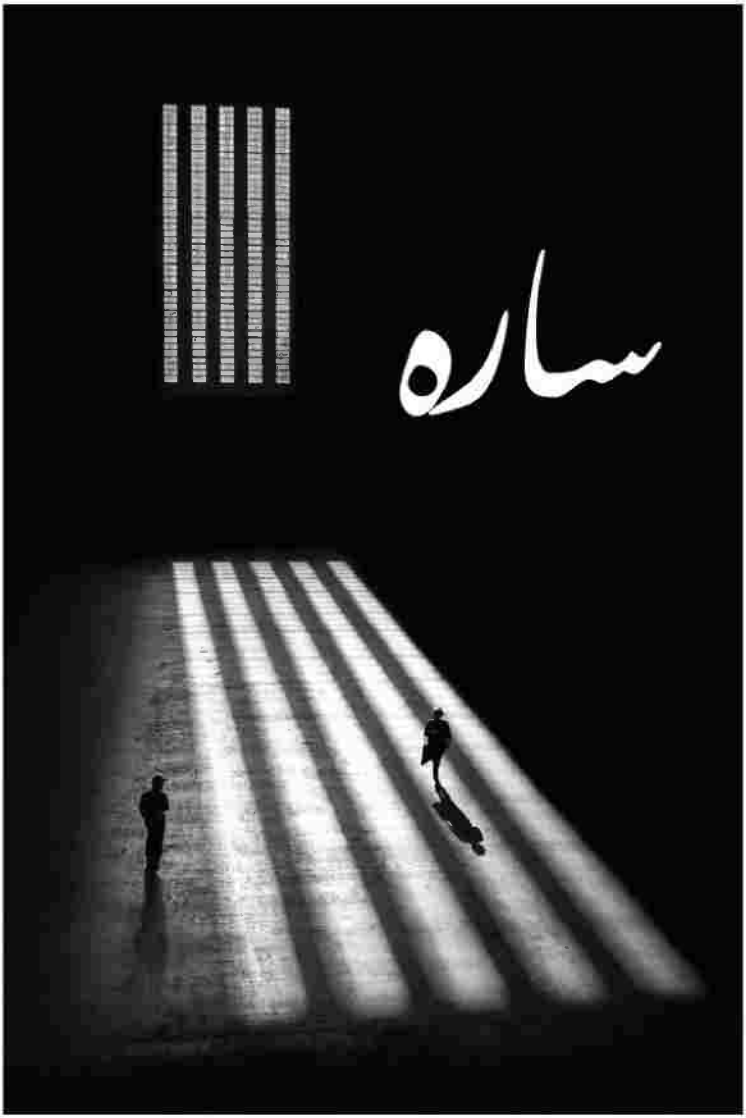
ساره

06|| سارة

كانت السندريلا بالنسباله رو اية عمره ما صدق تفاصيلها، بس مكنش يعرف إن الساعه 12 بالتمام ممكن تكون بالنسباله شيء فارق، ويحصله اللي حصله.

عادل كان خاطب وخطيبته ماتت في حادثه من شهرين، فدخل ف اكتئاب مزمن وبكاء متواصل من يوم وفاتها، ممكن يكون قل شويه اليومين اللي فاتوا، بس محدش بيشوف وشه ودقنه اللي بدأت تتقل عليه، وشعره اللي مش متسرح، وعينه اللي مش بترفع من على الأرض طول ما هو ماشي إلا لما بيعرف حالته وبيصعب عليه حالة اليأس اللي وصل ليها.

الشتا دخل ببروده شديده جدا السنه دي، وزاد من برودتها عدم وجودها في حياته، كانت كل حاجه مناسبه جدا عشان تقسى على عادل أكتر، وتزود جرحه: المطر والبرد، والوحده والليل، والذكريات وصورها، كانت أشياء كافيه جدا تقتل عادل، بس في حاجه مكنتش عاوزاه يموت.

كان يوم غريب جدا، والمطر موقفش فيه لحظه واحده، والمدينه كلها تقريبا فضلت إنها ما تنزلش، وتفضل في بيوتها تدفي بعضها أو على الأقل تهرب من صوت الرعد ومنظر البرق اللي كان فعلا

مخيف يومها إلا عادل، تقريبا كان ماشي لوحده في الشارع، وسارح بخياله كالعاده في ذكرى من الذكريات الكتير اللي مافارقتش خياله لحظه.

كانت الساعه 12 إلا خمسه وهو واقف يراقب المطر في صمت عجيب، والوقت بيمر عليه في بطء مخيف، فعلا كان الشارع فاضي لدرجة تخليه يسمع صوت عقارب ساعته وكأنها شخص تاني بيتكلم معاه، ولدرجة إنه كان بيميزها ثانيه بثانيه: الساعه 12.

وفجأه توقفت صوت عقارب الساعه، آخر حاجه كان ممكن يتوقعها في حياته اللي حصل، صوت بينادي عليه من ضهره:

– عادل، عادل.

بص وراه وشاف آخر شخص ممكن يتخيل أنه يشوفه تاني، أيوا عادل شاف خطيبته اللي ماتت من شهرين زي ما يكون الدنيا وقفت فجأه، وحس أن المطر متعلق في الهوا مش بينزل على الأرض، والهوا صوته اختفى ومعدتش حاجه بتتحرك منه، حتى البرق في السما مش بيختفي ثابت كأنه لوحه مرسومه.

الفكره في حد ذاتها كانت مخيفه أكتر منها مفرحه، بعد فتره من الصمت قدر عادل يحرك شفايفه وهي قدامه بنفس فستان الفرح اللي كان شاريه معاها قبل الحادثه بيوم...

– إزاي؟

– وحشتني يا عادل.

– إنتي كمان وحشاني أوي، بس ازاي؟

– إزاي إيه؟ إنت مش نفسك تشوفني؟

– ساره، إنتي بتقولي كده ازاي، ده أنا بتمنى الموت عشان أجيلك و أقعد معاكي.

– أنا مش هسيبك تاني يا عادل، ويلا بقى عشان اتأخرنا على الفرح والناس كلها مستنيانا.

– أيوه يا ساره، إحنا اتأخرنا فعلا، بس أنا هدومي متغرقة أوي، وما لحقتش أحلق ذقني، طب بصي أنا... أنا... أنا هطلع ألبس البدله بسرعه وأحلق ذقني و أنزلك على طول، لا مش هحلق ذقني أنا هلبس البدله و أنزلك بسرعه عشان ما نتأخرش، لا أنا مش هطلع إنتي هتمشي لو أنا سيبتك و أنا ما صدقت لقيتك يلا بينا دلوقتي هما أكيد هيقدروا، صح؟ وبعدين مش مهم لابس إيه كفايه إنتي، إنتي جميله أوي يا ساره، مكنتش متخيل إنك لما تلبسي الفستان هتبقي حلوه كده، يلا بقى بينا عشان نفسي أرقص معاكي، نفسى أخدك في حضني قدام الناس كلها، يلا يا ساره، ساره، إنتي روحتي فين؟ ساره ما تمشيش أرجوكي، خليكي معايا كمان شويه، طيب هشوفك تاني؟ ساره تعالي يلا عشان الناس مستنيه، ساره...

عاد صوت عقارب الساعة لتدق أول ثانية في نهار يوم جديد، وعاد المطروالبرق لحالته، وغطى صوت الرياح على المشهد، وسقط عادل مغشيا عليه وعينه بتفتح من جديد.

كان عادل في المستشفى وسمع والدته كانت بتتكلم مع الدكتور، مكنش مركزفي الأول لحد ما بدأ يميزصوت والدته وهي بتكلم الدكتور:

– دي مش أول مره يا دكتور، كل يوم على الحال ده من يوم وفاتها، كل ما الساعه تييجى 12 بيقعد يتكلم مع نفسه، وكأنه بيكلمها، حالته بقت صعبه جدا، والله أعلم ممكن يحصله إيه تاني بعد كده!

– مش هخبي عليكي، ابنك في حالة صدمه عصبيه من وفاتها، ودي مجرد هلاوس بتطارده، ومش قادر يصدق أنها ماتت وهيكمل حياته من غيرها...

عادل مكنش مهتم يسمع باقي الحوار، عادل كان عارف أنه مريض، بس فرحان بمرضه.

الساعه 12 كانت آخر مره شاف فيها ساره وهو بيوصلها تحت البيت، وهي بتبصله وتضحك وبتقوله هشوفك تاني، عادل بص في ساعته وكانت 12 إلا خمس ثو اني، فابتسم ابتسامه خفيفه وغمض عينه وقال بصوت واطي هشوفك تاني يا ساره، هشوفك تاني الساعة 12.

الکابوس

07|| الكابوس

قبل خمس عشرة سنة من الآن...

...

في منتصف ليلة شتوية، وفي داخل إحدى الشقق السكنية بمدينة طنطا كانت السيدة منال ساقطة أرضا غارقة في دمائها وهي تحاول جاهدة الوصول إلى الهاتف في منتصف غرفة نومها.

كانت رعشة جسدها وبرودة أطرافها والدماء المتساقطة بغزارة والغشاوة التي بدأت تستحوذ على مجال رؤيتها كلها أشياء تدل على قرب النهاية حتما، إلا أن القدر أبى أن تغادر الحياة دون أن تدلي بدلوها، أمسكت منال الهاتف بيدها المرتعشة، وأخذت في طلب هاتف منزل طليقها وعلى الجانب الآخر قامت نجلتها بالرد عليها وما إن التفتت إلى ذلك حتى أخبرتها بصوت مرتجف:

– أريد أن أخبرك شيئا هاما...

– أمي، هل حدث شيء؟ لقد أغلقت منذ دقائق الهاتف معي!

تساقط العرق بغزارة من منال وهي تحاول جاهدة أن تتكلم مقاطعة نجلتها:

– هاشم...

فردت عليها نجلتها:

– من يا أمي؟ من هو هاشم؟

تباطأ لسان والدتها محاولة بكل ما أوتيت من قوة لتعلنها للمرة الأخيرة:

– هاا هاشم فاروق...

ثم تهاوت أرضا وسقط الهاتف بجوارها، ولم يقطع صوت المكان سوى نداء نجلتها لها:

– أمي، أمي...

إلا أنها لم تعد هناك لتجيبها وقد فارقت روحها جسدها وللأبد.

***

القاهرة صيف عام 2016...

...

كانت تلك المرة الثانية التي سيقابل فيها رجل الأعمال الشهير هاشم فاروق تلك الحسناء بإحدى المطاعم الشهيرة بحي الزمالك، وكعادته بدا أنيقا رغم تجاوزه الخامسة والأربعين من عمره، وكان في انتظارها؛ يتذكر كيف التقى بتلك الرائعة عاليا الكاشف، وكيف أشعرته بأنه ما زال في بداية العشرينات من عمره بحديثها وتألقها الدائم، و ابتسامتها التي لم تفارق وجهها أبدا، وقاطع تفكيره صوتها من خلفه:

– هل تنتظر أحدهم؟

– لا، في الحقيقة كنت أنتظر أجملهم.

– وفيم كان يفكر الوسيم ذو الشعر الأبيض؟

– كان يفكر بحسنائه!

– أرى أنك تجلس في ذلك المطعم كثيرا، أهو المفضل لديك؟

– بالفعل منذ سنوات عدة و أنا أجلس به واعتدت عليه و...

قاطعته عاليا:

– من المؤكد أن لديك ذكريات كثيرة فيه.

– نعم، كانت حبيبتي دائما ما تفضله، وبعد وفاتها أصبحت لا أبرح منه.

قاطعته ثانية قائلة له:

– ولذلك لن نجلس هنا اليوم لأني أريد أن أخرجك من كل تلك الذكريات، ألا تتفق معي أنه حان الوقت لـ...

– أنت على حق أعتقد أنه حان الوقت، عليا، هل تقبليني زوجا لك؟

ابتسمت الأخيرة قائلة:

– وماذا أفعل بنفسي إن قررت التخلي عن كل تلك الوسامة وبياض شعرك لغيري؟ عموما دعني أجيبك عقب العشاء والدعوة على حسابي وبمطعمي الخاص.

– ما دمت قد قررت فلا رجعة.

جلس كل منهما على منضدة فاخرة بالمطعم المملوك لعاليا الكاشف أُعِدَّت خصيصا لتناولهما العشاء، وكانت نظراته ترمق حسنها طوال الوقت إلى أن انتهى من وجبته وكذلك هي قائلا لها:

– ألا تجيبيني الآن؟ ماذا قررت؟

– أنا فقط أتعجب من انبهارك بي رغم فارق السن بيننا، ومع ذلك إن أجبت على أسالتي سأجيبك.

أجاب وقد بدا عليه القلق:

– تفضلي يا سيدتي.

– هل ترى أن الانسان وإن بدا قلبه حنونا ويملك كثيرا من الصدق والعاطفة مثلك يغفر ذلك له تاريخه.

أجاب هاشم بكل استغراب:

– لا أفهم سؤالك!

–ما رأيك يا أستاذ هاشم فيمن يقتل نفسا بغير حق؟

بدا يظهر على ملامح هاشم شيء من الإعياء وهو ينظر إليها باستغراب مجاوبا إياها:

– من قتل يُقتَل ولو بعد حين، ولا بد من القصاص بالطبع، و...

بدأ وجه هاشم يتصبب عرقا وهو يجيب:

– عاليا، إن كانت هذه محاولة لشيء ما فلا بد أن تتوقفي، فأنا فعلا لا أفهمك، ثم أني أشعر بالإعياء الشديد، وأحس بمعدتي تؤلمني.

أردفت عاليا قائلة بصوت عالٍ:

– لا يا أستاذ هاشم، في الحقيقة أنت لا تشعر بالإعياء الشديد، أنت تشعر بالموت وهو قادم لا محالة، فقط أريدك في الثواني القليلة المتبقية لك أن تتذكر وجهي جيدا: وجه الانتقام لوالدتي، أتتذكرها؟ نعم أيها القاتل، والدتي منال التي طعنتها بكل قسوة وحرمتني منها طيلة العمر، كنت تعتقد أن جريمتك سيمحوها التاريخ.

أمسك هاشم بطنه وهو يقاوم الألم الصادر عنها متأوها وقد بدا على وجهه الاحمرار قائلا:

– عاليا؟ ماذا تقولين؟ منال والدتك؟ لماذا فعلتِ هذا؟ أنتِ لا تفهمين شيئا!

قاطعته الأخيرة قائلة:

– كل شيء قمت بتدبيره منذ أن عرفت شخصك: قصة الحب اللزجة تلك، ووجهك الحقير الذي تمنيت أن أبصق عليه كلما رأيته، وتمثيلي الزائف الذي كرهته، وحتى طريقة جذبي لك لتناول العشاء هنا في مطعم والدي، كل هذا مدبر من قبل، أتمنى أن تكون استمعت بعشائك الأخير وذقت لذته. كانت آخر كلمات والدتي قبل أن تموت هو اسمك، وسيكون آخر وجه تراه قبل أن تموت هو أنا.

***

قبل خمسة عشر سنة من الآن...

...

كانت منال تهاتف نجلتها للاطمئنان عليها كعادتها قبل نومها.

– أما زال والدك بالخارج؟

– نعم يا أمي، لا تقلقي، لقد أوصدت الباب جيدا في انتظار قدومه.

– حسنا يا بنيتي، لا تنسي أن تهاتفيني في الصباح و... (صوت باب الشقة يفتح) اقفلي الآن، سأكلمك لاحقا.

بخطوات حذره يملؤها الخوف خرجت منال إلى حيث يوجد باب شقتها إلا أنها وجدته مغلقا، فتنفست الصعداء، وما إن التفتت خلفها حتى وجدت حمدي الكاشف –طليقها السابق– أمامها مباشرة وعلى وجهه بدت ابتسامة السخرية الصفراء كاشفة عن نوايا غير مريحة من جانبه.

ارتعدت منال وخطت الى الخلف وهي تقول بكل ذعر:

– حمدي، ماذا تفعل هنا؟ وكيف تركت عاليا بمفردها في ذلك الوقت؟

– بكل برود استل حمدي الكاشف جوانتي أسود اللون من داخل معطفه، وشرع في لبسه بهدوء وهو يقول لها:

– حقا؟ أتخافين عليها من الجلوس بمفردها؟

أنا أيضا كنت أخاف عليها، وأكثر ما خفت عليها منه هو أنتِ.

التصقت منال بأحد جدران الشقة، وكانت تتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، وسادها الرعب من برود كلمات طليقها وتصرفاته في حين استطرد هو قائلا:

– لم أكن أعرف حقا السبب الحقيقي من إصرارك على الطلاق مني على الرغم من أني لم أقصر معك في أي شيء، ولماذا ألحيت على ذلك على الرغم من وجود فتاة بيننا.

– حمدي، نحن غير متفاهمين وهذا هو السبب الحقيقي و...

– نعم، نعم، أدرك أننا غير متفاهمين بالطبع، كما أنه ليس بيننا شيء مشترك.

اقترب حمدي بخطوات بطيئة من منال وهو يكمل:

– أتعرفين من أين أتيت الآن؟ أتعرفين على ماذا تحصلت؟

أخرج من جيب معطفه عدة ورقات ووجهها إليها قائلا:

– هذه التقارير أيتها السيدة المحترمة تقول أني عقيم ولم ولن أنجب أبدا.

– ماذا تقول؟ كيف لك أن تجرأ؟

– كما تجرأت أيتها الخائنة على إنجاب طفلة ليست من صلبي، و أنت معي وجعلتني أحبها كل هذا الوقت...

كان حمدي مواجها تماما لفم منال وهو يتكلم إليها، وما إن أنهى كلماته حتى أخرج سكينا معه فجأة، وطعنها به في بطنها، فأمسكت منال بطنها بيدها صارخة من كثرة الوجع إلا أن حمدي وضع يده الأخرى على فمها مانعا إياها من الصراخ قائلا:

– *هششششششش*، لا يجب أن يكون للخائنين صوت! موتي بهدوء واستنشقي مر أنفاس انتقامي.

ثم أخرج سكينه طاعنا إياها مجددا هامسا في أذنها:

– سأحرم عشيقك من نجلته طوال العمر المتبقي له، ولا تقلقي عندما أقتله، سأدفن جثته إلى جوارك حتى يتسنى لكما الموت سويا لأني لم أكن أسمح لكرامتي أن تعيشا سويا.

ترك حمدي طليقته غارقة في دمائها وهي تتأوه محاولة الصراخ، وفر هاربا، بينما كانت تصارع هي من أجل شيء واحد: شيء واحد فقط، هو إخبار نجلتها الحقيقة، ولكنها لم تعش لأكثر من أن تقول لها أحد الأسماء دون باقي الحقيقة: هاشم، هاشم فاروق.

***

القاهرة، الآن...

جلس حمدي الكاشف على أريكته وهو يستمع لنشرة أخبار الساعة العاشرة صباحا، وبدت على وجهه ابتسامة النصر والراحة بعد سماعه الخبر الذي انتظره طوال الفترة الماضية:

(مصلحة السجون تنفذ حكام الإعدام على عاليا حمدي الكاشف فجر اليوم مسدلة الستار على قضية مقتل رجل الأعمال هاشم فاروق).

أخذ الخبر مسراه في عقل حمدي الكاشف وكرره على نفسه مرارا وتكرارا، فاليوم قد أنهى قصة الخيانة كاملة بكل أطرافها: العاشقان ونجلتهم الثائرة المسكينة التي اعتقدت أنها أقدمت على قتل قاتل والدتها وليس والدها، سنوات عديدة انتظرها حتى يتسنى له سماع مثل ذلك الخبر.

لحظات صمت طويلة أخذ فيها حمدي الكاشف في تذكر تفاصيل تلك السنوات، وما حدث بها، لم يقطعها إلا صوت جرس الباب وهو يرن، فترك قهوته على المنضدة المقابلة للأريكة، وفتح الباب فإذا بالو اقف أمامه مندوب تسليم: سلم إليه أحد الخطابات فسأله:

– ممن هذا الخطاب؟

فأجابه المندوب:

– من الدكتور سالم العربي.

اندهش حمدي الكاشف من الاسم الذي سمعه، قام بالإمضاء على الاستلام، ثم أغلق باب شقته غير ملتفت للو اقف أمامه وهو يتذكر اسم الدكتور سالم الذي لم يلتقه منذ سنوات عديدة، ولكنه شرع في فتح الخطاب متلهفا لقراءة ما بداخله وها قد بدأ.

«المهندس/ حمدي الكاشف...

أكتب إليك و أتمنى أن تكون قد تذكرتني، حسنا حتى وإن لم تستطع، فأنا متأكد أنه وبعد أن تقرأ جو ابي فلن يفارق اسمي مخيلتك مرة أخرى حتى وفاتك، أنا الدكتور سالم العربي الطبيب الذي شاء القدر أن تختاره من بين جميع الأطباء في مصر لتجري تحاليل واختبارات تتأكد منها من أن عاليا نجلتك أم لا؟ حسنا... دعني أخبرك قصة طريفة في بداية الأمر.

قبل أن تطأ قدماك عيادتي لإجراء الكشف بعدة شهور، تواطأتَ مع رجل الأعمال صديقك العزيز (هاشم فاروق) في بناء أحد الأبراج السكنية والتي انهارت عقب تسكينها بشهور قليلة على جميع

من بها من السكان بكل أحلامهم ومقتنياتهم ومستقبلهم الذي طالما انتظروه في فرح، المثير في الأمر أن زوجتي و أبنائي الثلاثة كانوا من ضمن قاطني ذلك العقار، والذي لم يرحمهم الوقت ولا أطماعكم، وكأن العقار سقط على قلبي، هم ارتاحوا من عذاب الفقدان، بينما ظللت أنا كل تلك السنوات أعاني كل الألم من انتهاء أحلامي وفقدان أعز ما لدي في الدنيا، حتى جئت إليَّ و أنا أكاد لا أصدق نفسي أن السبب في وفاة زوجتي وأولادي ساقه القدر إليَّ...

وهنا اختمرت في رأسي الفكرة كاملة، وقررت الانتقام لهم... كيف أسرق أحلامك وأحطم حياتك وأسلبها منك أنت وكل من يخصك ومن شاركك في هذا الجرم؟ وكانت الخطة يا سيد حمدي...

التحاليل تكشف أنك عقيم وعاليا ليست ابنتك وطليقتك أنجبت من عشيقها، فتذهب ثائرا لقتلها، ولكن قبل أن تموت يأتي دوري أنا، عقب نزولك مباشرة من شقة طليقتك يا سيد حمدي كنت أنتظر، ودخلت على الفور وشاهدت زوجتك وهي تحتضر، وما أسهل طبيا أن تملي عليها وقت موتها ما تريد فتصدقه على الفور...

قدمت نفسي على أني رجل الأعمال هاشم فاروق صديقك وأخبرتها أني السبب في قتل زوجها لها و أني من أخبرته أني على علاقة غير شرعية بها ،وساعدتها على بلوغ الهاتف لتتصل بنجلتك أثناء جلوسي أمامها وهي تحتضر، وبالكاد نطقت باسم صديقك هاشم فاروق لتكتمل القصة، وتصدق أن زوجتك كانت تخونك مع أعز أصدقائك وشريكك في بناء البرج المنهار، وتخطط طوال تلك السنوات للانتقام منه، وكانت خطتك رائعة الحقيقة في التخلص من أعز أصدقائك...

إذا كنت تقرأ جوابي الآن فستكون عليا حمدي الكاشف قد تم إعدامها. سيد حمدي، أنت لم تكن عقيما في يوم ما، وزوجتك لم تقابل هاشم فاروق في أحد الأيام ولم تخنك أبدا وللتو أنت تشعر بما شعرت به من سنوات: زوجتك وأعز أصدقائك، واليوم نجلتك الوحيدة...

سيد حمدي، فقط لا تنسى أن الأيام تدورلتلاقي ما اقترفته يداك يوما وأن اللحظة التي اعتقدت فيها أنك انتصرت انتهت للتو، وأهلا بك في عالمي الجديد.

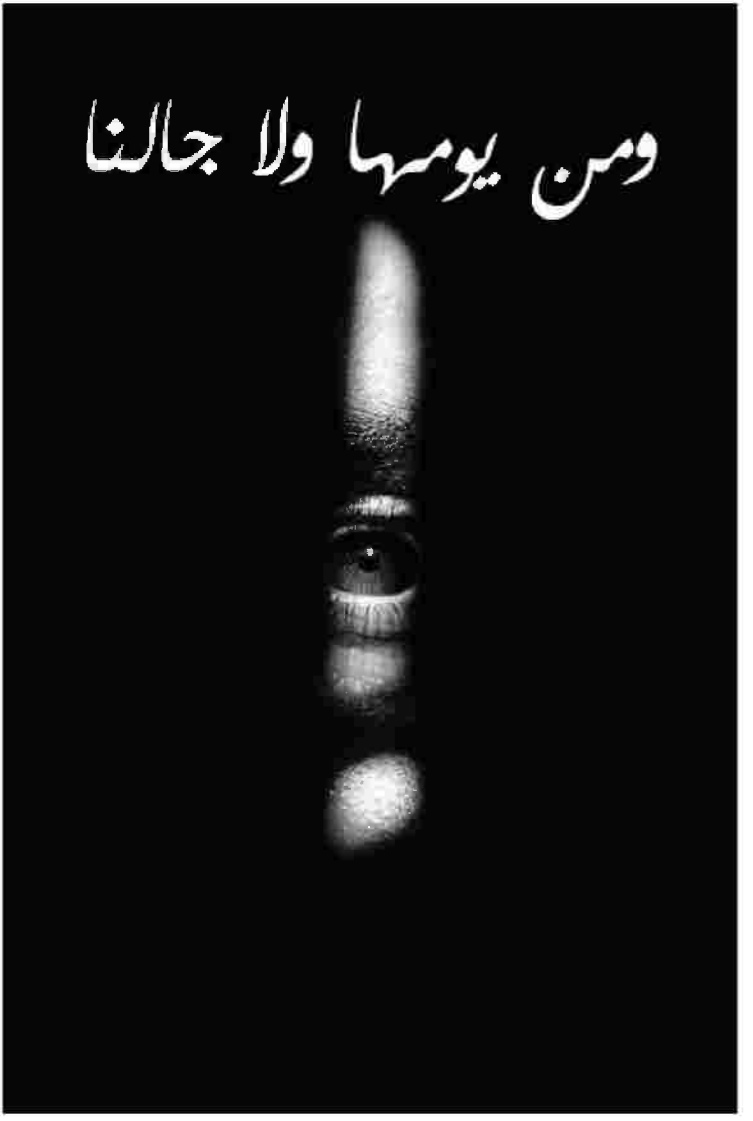
ومن يومها ولا جالنا

08|| ومن يومها ولا جالنا

عمري ما ركبت قطر، وبخاف منه جدا، النوع ده من المواصلات بيربطني بحوادث القتل والانتحاروشكل الناس وهي منهكة.

فكرتهم أصلا بتتعبني جدا عشان بتخليني أشوف حاجات أنا بتجنبها...

شكل الست الحامل اللي شايلة شنطة كبيرة على ضهرها عشان تبيع أي حاجة...

شكل الأطفال اللي بيسرحوا عشان –الله أعلم– رزق يومهم ولا حد مستغلهم...

فكرة إن في إنسان في نفس المكان محروم من فرص المعيشة الآدمية بتتعبني.

أنا ضد بيع المنتجات بالشكل اللي بنشوفه في المترو والقطر، بس مش هقدرأكون ضد الإنسان في العموم وهو بيدورعلى أساسيات حياته بالشكل اللي فرضه عليه تطور الحياة.

بس هلوم على مين وأسيب مين، على إنه حصر نفسه واستسهل، ولا على الدولة، ولا المجتمع و أفكاره!

هلوم إزاي على إنسان ببص في عينه بشوفه مستسلم لمستقبل بشع، زي إنه عمره ما هيتجوز ولا عمره ما هياكل أكلة بيشوفها في إعلان!

المواصلة دي جواها دايما حواديت، فرق المحطات بس كفيل يكشفلك outlines الفئات ومخاوفهم و أفكارهم، ساعة كفيلة تخليني أعمل قصص.

الناس كلها مغلوبة على أمرها دلوقتي، معظمنا مستسلم باختلاف المستوى والظروف.

الخوف من إن الواحد يفقد إنسانيته في وقت وتحت ظرف ما أصعب ما يكون، خوف إننا نتعود الأخبار اللاإنسانية وخبر الوفاة ما يفرقش في وقعه عن خبر الولادة.

وأهدى تلك الكلمات إلى الأرواح الطاهرة اللي لاقت ربها ف حادث محطة مصر. و أتمنى تنول إعجابهم وإعجابكم...

❁❁❁

يا سارق من الحياه ضحكه

ينوبك إيه من العناوين

ده صوتك ف الحياة بيعلى

عشان بس كام جنيه تموين

ف عز الصعب والمحنه

تناجي الرب والصالحين

يا رب أكرمني واسترها

وحد لبنتي يسترها

وأعلم أبني دستورها

وأعدي الشده وبحورها

و أكون راضي من الشاكرين

ولما تقوله عدلها

وأطلع بره وأعدلها

كفايا شرب من نيلها

كفايا غناك لمواويلها

يقولك ومين غيرى هيبقالها

يكون ليها من الحارسين

قفلني بحبه للجنه

وكام واحد بيتمنى

يقعد ف الغربه يتهنى

لكنه عاش يقولهالنا

ما يملى عيني ف مكانها ليوم الدين

وقام كالعاده ف صباحه

وباس أطفاله فارتاحوا

وراح للقطر يسترزق

وكانت ناس بتتجمع وف وشوشها الأمل يجمع

على وشوشهم تشوف الحلم وكان الحلم يوم أربع

فده السارح ف ملكوته

وبيفكر إنه يجيب قوته

وده للعلم كان طالب وده للرزق بتحارب

وده بيجرى عشان شغله وخاف لا القطر ده يفوته

ف غمضة عين راح المشهد

وأدى الأحلام بتستشهد

وكان صاحبنا بير اقب عيون الناس بتستنجد

وده لغيره بيساند وده على غيره يتسند

وواحد كل أحلامه يطفي ناره يتبرد

وهو بس كان نفسه يشوف أطفاله من تاني

ولكن ناره ما بتخمد

فقرر أنه يستسلم وكان للموت بيستنشد

وآخر لقطة قالهالنا وروحه طالعه للجنة

ما تنسوش إن أنا منكم

ومات مني ومن جيلكم

ويوم الحق هنجيلكم

نواجهكم ونسألكم

بأي ذنب قد قتلنا؟

ومن يومها و بنتاجرف أشلائه

ما بين صوره وكام عنوان وأور اقه

ومن يومها ولا فهمنا

ومن يومها ولا جالنا.

الفراشه

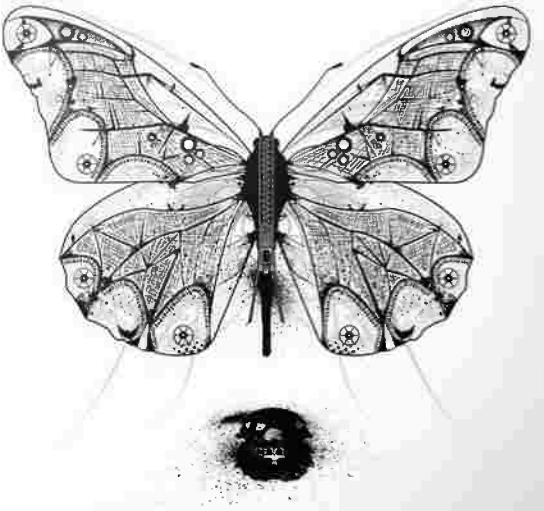

09|| الفراشة

مصطلح تأثير الفراشة أو(نظرية الفوضى) في النظريات الفيزيائية والفلسفية وغيرها من فروع المعرفة، هو استعارة لفظية، أو مصطلح مجازي، يستخدم للتعبير عن مفهوم الاعتماد الحساس والمهم للحدث على الظروف الأولى المحيطة له وتطبيقاتها في العلوم المختلفة.

ودي نظرية ابتكرها إدوارد لورينز عام 1963.

...

نفكنا بقى من الكلام المجعلص ده، وتعالوا نقول إيه قصة الفراشه دي؟

شوف يا سيدي، لو جناح فراشه رفرف في الصين ممكن ده يتسبب بكل بساطه في تسونامي أورياح وأعاصيرفي أمريكا أو أوروبا أو إفريقيا، ومن هنا وصلنا للمصطلح.

كل حاجه ف حياتنا ليها نقطة بدايه، ولو عدنا كل حكايه من أولها مع تغيير حاجه بسيطه جدا زي رفرفة جناح فراشه كل النتايج هتتغير.

لو حطينا كوره على قمة جبل هتتدحرج ف مكان معين، ولو حطيناها مره تانيه من الأول هتتدحرج ف مكان تاني، وكل مره هتروح حته مختلفه، وده لأن كل مره في عامل بسيط ممكن يكون مختلف رغم إنها نفس الكوره ونفس الجبل ونفس المكان اللي اتحطت فيه.

حاجات بسيطه جدا لو كانت حصلت كانت هتغير مجرى البشريه.

هتلر كان رسام، ولو بس كان تم قبوله ف المعهد اللي رفضه أكثر من مره رغم براعة فنه ما كان اتجند ف الجيش، ولا كانت الحرب العالميه، ولا كان مات ملايين البشر، وكانت كل موازين القوه هتختلف النهارده.

سرعة الضوء هي 299792458 م/ثا، السرعه دي لو نقصت رقم واحد أو زادت رقم واحد الكون كله ينهار.

المسافه ما بين الكواكب وأي نظام شمسي وقوة الجاذبيه ما بينها لو اختلفت مقدار ملي هتنهار النظم الشمسية، وتدخل الكواكب ف بعضها وف الشمس.

إنت نفسك ممكن يكون كل مستقبلك اتغير بناء على رقم عشري أقل من المطلوب لدخولك كليه معينه.

كل شيء مقدر تماما وماشي ف نظام محدد جدا عشان تحصل نتيجه معينه، ولو اختلف جزء بسيط جدا في المقدمه كل النتايج هتختلف.

كلمة أنا آسف قد تجنبنا الكثير من المشكلات، كلمة شكرا تشجع الآخرين على تقديم المزيد من المساعدات، الابتسامة تخفف الكثير من الآلام. «استمر ولا تيأس» هي الدافع لتحقيق الأحلام.

العبرة بالكيف وليس بالكم، نحتاج أحيانا أن نرى الأشياء بعيون الأطفال لندرك قيمة الأشياء البسيطة ف حياتنا، سواء كانت كلمة تقولها، أو عمل تعمله، لأنها قد تكون مصدر السعادة والقوة لنا وللآخرين.

تخيل: تجبر خاطر شخصا فتمنع قيامه بارتكاب أفعال انتقاميه!

تخيل أن يتم ترتيب كل البدايات!

تخيل: لو رفرفت الفراشه ف المكان الصحيح وبالمقدار الصحيح!

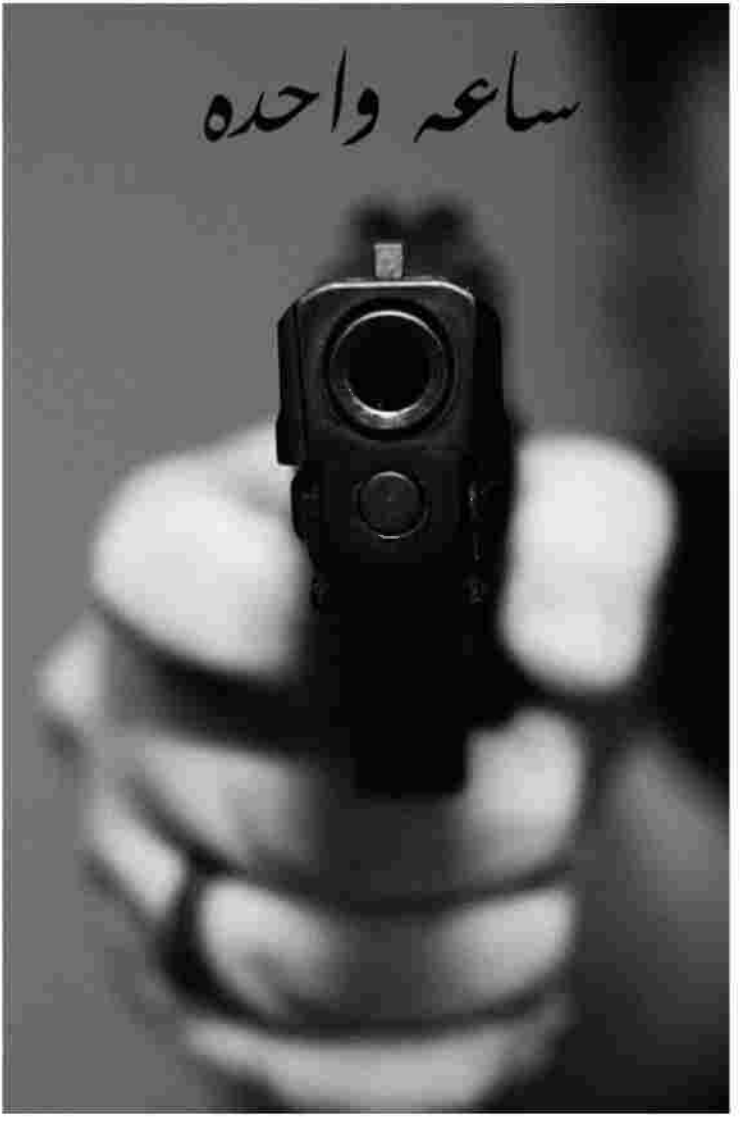
ساعة واحدة

10|| ساعة واحدة

كعادته كل صباح قام السيد محمد أحد أشهر رجال الأعمال بمصر بالوقوف بسيارته الفارهة أمام إحدى كافيهات الشيخ زايد، وأعطى المفتاح لأحد العمال ليقوم بركنها له، ثم ابتسم ابتسامته المعتادة للعاملين بالكافيه حال دخوله، والذين بادلوه ذات الابتسامة موجهين إياه نحو المنضدة الخاصة به، وبمجرد جلوسه انهمك في كتابة بعض الرسائل على الحاسب المحمول الخاص به.

اليوم هو أهم يوم في عامه الحالي، فهو بصدد إنهاء بعض الإجراءات الأخيرة مع إحدى الشركات العالمية الكبرى من أجل إتمام صفقة كبيرة فيما بينهم كان قد دفع من أجل كسب ثقتها عدة ملايين من الجنيهات.

كان قد بدأ في احتساء قهوته وهو ينظر باهتمام إلى الشاشة أمامه حتى قاطعه ذلك الغريب الو اقف أمامه:

– سيد محمد.

– نعم!

– هل تسمح لي بالجلوس؟

– في الحقيقة... في الحقيقة أنا مشغول جدا الآن، وعليَّ إنهاء بعض الأوراق...

قاطعه الغريب سريعا:

– أعتذر منك، فأنا لا أريد إضاعة وقتك، ولكن الموضوع جد مهم، وواجبي يحتم عليَّ أن أقصه لك، هذا إن أردت بالطبع.

– معذرة، هل تعرفني؟

– ومن في كل أنحاء تلك المدينة لا يعرف رجل الأعمال المشهور الذي حقق العديد من الصفقات الرابحة، واستطاع أن يصل إلى العالمية في غضون سنوات قليلة.

– أشكرك، ولكن أنا بالفعل مشغول جدا الآن، ولا أستطيع إضاعة دقيقة واحدة من وقتي، على العموم أنا أتواجد يوميا هنا، هذا إن أردت محادثتي ثانية.

– وأنا بالفعل لن أتواجد هنا مرة أخرى، وعامة أعتقد أنك قد تقوم بتغيير رأيك إن عرفت عمن أريد أن أتحدث، وآسف على إزعاجك مرة أخرى.

وهم الغريب بالانصراف، إلا أن طريقته المستفزة في العرض جعلت من السيد محمد يناديه.

– تكلم وأرجو أن يكون الكلام ذا قيمة لذكره.

اقترب الغريب من أذن السيد محمد هامسا له بصوت بطيء:

– زوجتك غادة تخونك.

– انتفض محمد من مقعده ماسكا الغريب صائحا بوجهه:

– كيف تجرأ أيها الحقير؟!

وهم بضربه إلا أن الغريب قاطعه:

– اهدأ يا سيد محمد، أنا لا أكذب عليك، ونحن في مكان عام، وبالطبع لا تريد أن يفتضح أمر عائلتك.

لاحظ محمد اجتماع عمال الكافيه لاستبيان الأمر، فاستجمع هدوءه، و أنزل يده من على الغريب، وقال له:

– اجلس وهات ما عندك، و إياك والكذب وإلا قطعتك إربا وسلمتك للشرطة بيدي.

– حسنا، إن كذبت عليك فقم بقتلي إن أردت. أنا صديق قديم للسيد وجيه مدير أعمالك، وبيننا عدة أعمال سابقة فيما بيننا، وأعلم منذ فترة أنه على علاقة بزوجتك غادة، ولكن لم يكن الأمر يعني لي أي شيء حتى أتكلم عن صديقي الذي لم يقدروقوفي بجانبه عدة مرات، حتى قام بتدميري بعد أن نصب عليَّ في أموالي، واستولى عليها في إحدى صفقاته المشبوهة، وأهملته كثيرا ليرجع لي مالي، إلا أنه أصر على إيذائي، ومن هنا أصبحت لدي مهمة واحدة في الحياة أؤديها، ألا وهي تدمير وجيه نهائيا، و إيذاؤه، الساعة الآن الحادية عشر، والسيد وجيه سيغادر منزلك في تمام الساعة الثانية عشر، أمامك ساعة واحدة لتكتشف قيامه وزوجتك بخيانتك من وراء ظهرك، ساعة واحدة كفيلة بأن تكشف لك الحقيقة، وتغير مجرى الأمور، ساعة واحدة تكفي لتدميره وتحطيمه و إنقاذ سمعتك.

كان السيد محمد يسمع كلمات الغريب وكأن صاعقة من السماء نزلت عليه، فجعلته ثابتا في مكانه؛ لا يستطيع الحراك، حتى أنه لم يلحظ انصراف الغريب، ولم يقطعه من صمته سوى دقات ساعته، لتعلن أن الساعة أصبحت الحادية عشر تماما.

قام السيد محمد مسرعا ووجهه يبدو عليه كل علامات غضب الدنيا، وانصرف بسيارته يشق الطريق شقا ليصل في الميعاد المناسب، وقام بتعمير مسدسه، وإزالة زر الأمان منه، وأخذ يتذكر ما بينه وبين زوجته، وكيف كانت قصة حبهما حتى أنها حامل منه الآن في شهرها السادس، وما زاده ذلك إلا غضبا وهو لا يتخيل ما الذي ستؤول إليه الأمور حين يراها مع عشيقها وصديق عمره ومدير أعماله في غرفة نومه.

وصل محمد إلى حيث يسكن وترك سيارته قافزا على سلالم بيته إلى أن وصل إلى شقته، والتي قام بفتحها بمنتهى العنف وأخذ يبحث عن زوجته في الشقة مناديا إياها:

– غاااااااااااااده، غاااااااااااده.

وأثناء ذلك وجد زوجته تقف خلفه ترتدي ملابس نومها منادية إياه:

– محمد؟ ماذا بك؟ وما الذي جعلك ترجع في هذا الوقت المبكر؟

– لأكتشف خيانتك أيتها الحقيرة.

ثم قام بجذبها من شعرها قائلا لها:

– أين هو؟ تكلمي!

– من هو؟ وكيف تتحدث إلى بتلك الطريقة؟ (انهمرت في البكاء وهي تحدثه) أأنت في وعيك؟

قاطع صراخهما وحديثهما السيد وجيه الذي كان يقف على باب الشقة، وهو يقول لمحمد:

– سيد محمد؟ هل هناك مشكلة ما؟ لماذا كل هذا الصراخ؟ هل حدث شيء؟

لم يكن محمد في حاجة إلى أكثر من وجود وجيه أمامه لتتأكد شكوكه، ويسيطر عليه غضبه سيطرة تامة وخصوصا وجوده أمام بيت منزله في وقت هو يعرف أنه لا يوجد فيه.

استل محمد مسدسه بسرعة وأطلق النار، رصاصتان كانتا كافيتين لإزهاق روح وجيه أعز أصدقائه ومدير أعماله وزوجته حبيبته وأم ولده، رصاصتان كانتا كافيتين لإنهاء كل شيء.

جلس محمد على الأريكة وهو ينظر إلى الجثتين في ذهول تام، وهو لا يكاد يصدق ما حدث ممسكا برأسه محاولا استيعاب ما حدث، إلى أن قطع صمته هاتفه الذي رن بجواره، ولم يعلم كيف ولماذا قام بالرد على ذلك الرقم الغريب، إلا أنه وبمجرد الرد ازداد شحوبه واحمر وجهه من فرط صدمته من المتحدث، والذي ما كان سوى الغريب الذي قابله نهارا.

– مرحبا سيد محمد، تهانينا على استرداد كرامتك! (ثم ضحك ضحكة كبيرة مجلجلة) لقد أخبرتك سلفا أنها ساعة واحدة كفيلة

لتحقيق كل ما أريد، تلك الساعة الواحدة كانت كفيلة بإنهاء كل شيء يا عزيزي، ساعة واحدة كانت كفيلة بهز ثقتك وأخذ الصفقة منك، وضياع ملايين الجنيهات عليك من الشركة العالمية، وهذا جزاء من يطمع أن يحتضن السوق كله لصالحه، ساعة واحدة جعلتك تقتل زوجتك الشريفة وصديقك المقرب ومدير أعمالك السيد وجيه، لا تستغرب كثيرا، فأنا من هاتفته وأخبرته أنك مريض جدا، وتحتاج أن تذهب إلى المستشفى، ويجب أن يكون عندك في أقل من ساعة، هي نفس الساعة التي كانت كفيلة بجعلك تصدق رو ايتي، وتقوم بارتكاب الجريمة.

استمر الغريب في الضحك وهو يردد جملة واحدة لينهي بها المكالمة:

– صدقني يا سيد محمد، لولا ثقتك في زوجتك لما خسرت شيئا.

أدلى محمد بهاتفه من يده وهو ينظر إلى جثة زوجته وصديقه وفي عقله تتردد الجملة مئات المرات: «لولا ثقتك لما خسرت شيئا».

Q NET

Q NET ||11

– إيه يا ابني، اتأخرت ليه؟

– يا عم لا اتأخرت ولا نيله، كنت بلبس الجزمه بس، و انتا عارفها أديدس، فبلبسها بالراحه عشان ما تبوظش.

– نعم يا اخويا، بتلبس الجزمه بقالك تلات ساعات، ده أنا شارب بتاع تسعه شاي وتسعه حجر معسل لحد دلوقتي، وبعدين هو انت بتسمي الجزمه اللي انت جايبها من على المزلقان دي جزمه أساسا؟

– هو أنا لازم أقولك كنت نايم، ما انت عارف اللي فيها، ها هتعزمني على إيه النهارده؟

– إيه يا روح ماما؟! ده أنا شارب الحاجات دي على حسابك أساسا، ده احنا هنتنفخ النهارده.

– شوفت بقى إنك واطي؟ يعني حتى لو على افتراض أنو معايا فلوس تشرب تسعة شاي ومعسل على حسابي؟ إنت يالا شايف بابا مدير البنك الأهلي؟

– طب وطي صوتك عشان صاحب القهوة عمال يبرقلنا وشكله هيحط بتاع الشيشه ده في حتت ما بنحبهاش.

– سيبها على الله، هي أول مره؟ وبعدين يا عم، دي مصلحه والله عشان ما ندخلش جيش.

– إيه؟ ازاي يعني؟

– مهو دلوقتي صاحب القهوه بيصب في مصلحتنا والجيش طبيعي بيطمن على مصلحة المواطنين، فلما يشوف مصلحتك ومصلحتي كدا كدا هيستبعدونا، فهمت؟

– لا.

– دي قصه طويله هسيبك تعرفها لوحدك بعدين.

– ما علينا، المهم دلوقتي لازم بكره تييجي معايا الكليه عشان الشيت، إنت لو مقدتموش بكره هتسقط.

– طيب، ما أنا عارف عشان كده مش جاي.

– إنت عبيط يا ابني؟ ده الدكتور عماد مأكدلي.

– شوف يا صديقي، أنا بسقط بمزاجي عشان أنجح بعدين، في مثل صيني بيقول كتر السقوط من على الجبل بيجيب نجاح بالهبل.

– لا يا راجل؟! و إيه كمان؟

– هتنجح دلوقتي وتدخل جيش تلات سنين، في الغالب عشان إنت فقري وتطلع منه هتلاقي الكل بيقطم فيك إشي شغل، و إيشي جواز و إيشي مسؤوليه، طب وعلى إيه كل ده؟ أنا أقعد أحلى سنين حياتي دي على القهوة طالب معزز مكرم ولما أعدي تلاتين سنه أبقى أقوم أشوف مصلحتي.

– يابني، إنت لو وصلت تلاتين سنه بالمنظر ده مش هيبقى في مصلحه تقعد عليها أساسا، عموما براحتك، فكك بقى من الدراسه والغم ده، وقولي هنعمل إيه مع صاحب القهوه، إحنا علينا بتاع سبعتاشر جنيه لحد دلوقتي.

– ولا يهمك، سيبها عليا دي، تعالى معايا.

– هتعمل إيه؟

– شوف هي طريقه واحده اللي بتنفع في المو اقف دي.

❁❁❁

– إزيك يا معلم أنا عارف إنك ما عندكش غير القهوه دي، وكنت بفكر أنا وصاحبي نساعدك عشان إنت تعز علينا ونفسنا نشوفك بتكبر قدامنا وتبقى صاحب أكبر بر اند قهاوي في المحروسه كلها شوف يا معلم أنا وصاحبي مش هندفع الحساب لا النهارده ولا بعد كده ما تبرقلناش بس وحياة خالتك واسمعنا إنت راجل ذكي وعندك معارف كتير واحنا هنخليك تكسب من وراهم دهب سمعت قبل كده عن كيو نت؟

– لا.

– طيب تمام، هاتلي ورقه وقلم بقى عشان هرسملك شجره.

الفريسة. أنتي

12|| الفريسه إنتي

إزاى هيوقعك؟ بصي يا ست الفريسه، هو السؤال صح زي ما قرتيه بالظبط لأنك ف الغالب حصلك كدا بس اللي هو ازاي بقى دي فكره، والفكره لا تموت، بل بتتطور، و أنا مش جاي أحذرك منهم، لا، أنا بعرفك عليهم عادي، ومش معنى إنك عرفتيهم إنهم هيختفوا من حياتك، لا خالص، بس يمكن تاخدي بالك، ويمكن هما كمان ياخدوا بالهم إنك عارفه فيجددوا

❁ المثقف...

وده نوع جميل جدا الصراحه، وبيعجبني على المستوى الشخصي وبيدخل دخله مقنعه كدا، بحيث البنت تتثبت وتغرم بثقافة أهله، وهو ولا مثقف ولا نيله، ولا يفقه شيء أساسا، ده بس متقمص دور عادل إمام في السفاره ف العماره ف السيجاره ف الجيوان ف الحبايه، وده هتلاقيه داخلك كده بالظبط.

– هل ترين ما يحدث في القدس؟ هل تتابعين مدى انحراف مسار الكرة الأرضية في النمسا؟ هل ترتدين ملابس داخلية؟

❁ الفنان...

وده بقى مصيبه وقديم، مولا وبيعتمد على مجموعة جمل، الصراحه بيحفظها من كتاب كيف تشقط المرأة في ثلاثين يوما؟ وده دايما هتلاقيه بيعتمد على الأكلشيهات التاليه:

– أنا حاسس إني شوفتك قبل كده، أو ساعات تانيه إنتي نفس ملامح الإنسانه اللي كانت ف خيالي بالظبط، لاحظي حضرتك بينوع في الإحساس، ويطلع وينزل بيه عشان يعرفك إنه مختلف...

– إنتي باين عليكي حزينه، وملامحك كلها حزن، وروحك مطفيه، وبليز أول ما تسمعي الجمله دي بالذات إديه بالقلم فورا، و انت بروح أمك اللي جاي تصحي روحها المطفيه، ده إنت واخد نت من باقة صاحبك يلا عشان تكلمها.

– واللي هو بقى أنا نفسي أرسمك وجسم المرأه لوحه فنيه عظيمه، ولازم نحات عظيم زيي يقدره...

❁ اللي يصعب على الكافر...

جميل أوي النوع ده، بس لازم نفهمه إن القصص بتاعت الصعبانيات دي اتهرست في مليار فيلم قبل كده، وده بقى هتلاقيه بينسج قصه من وحي خياله؛ عشان يصعب على حضرتك إنتي والكائنات البريئه التافهه إخواتك، زي مثلا: أنا كنت بحب واحده وماتت ومش عارف أحب حد تاني من بعدها، و انتي فيكي منها أوي، أو مثلا: أنا عندي أمراض الدنيا، وكل يوم بعلق محاليل، ولازم حد

يحتويني عشان أخف، أو مثلا بقى: أنا طول عمري لوحد] ومحدش بيحبني، والكائن الرزل السمج ده لو دورتي وراه هتلاقي نفس القصه بنفس التفاصيل محكيه لكل واحده قابلها، وده تبعدي عنه خالص، ماهي مش ناقصه اكتئاب، يعني بروح خالته بيبقى مش فاهم أساسا هو جاي يحب ولا جاي يتعالج.

❁ نظرية الفواكه...

أهبل متخلف تافه عبيط عينه فارغه، وعنده قدره عجيبه على الإقناع، ونظريته تتمثل في إنه مرتبط ببنت بتمثله فاكهة التفاح، وإن البنات زي الفواكه، فهو مثلا جرب التفاح بس مجربش الموز، ولو إنتي كائن الموز، فمتزعليش لو جرب الخوخ، هو مقتنع إن كل بنت ليها طعم، ومفيش حاجه عنده اسمها نوع وحش، مش يمكن لما ياكل العنب يطلع أحلى من الكومترى، ومش عاوزين ننسى إن التين برده حلوه، بس بيشوك، و لا إن البلح حلو بس النخل عالي، ولا إن العسل جميل بس النحل بيقرص، ولا إن هووسخ بس بيستوسخ.

❁ معطي الثقه...

يا بت إنتي مراتي عارفه يعني إيه؟

يعني إيه يا اخويا؟

يعني هيمرمطك وهيطلع عين اللي خلفوكي، وعلى فكره أثبتت جميع الأبحاث إن الصيني مضروب، وهتتفضحي يا متخلفه،

وبالاطلاع على جميع المو اقع الثقافيه ثبت إن أي بنت اتقالها إنتي مر اتي ف يوم من الأيام إن ليها فيديو على المو اقع دي بيوثق لحظة الزواج العظيمة.

من الآخر اللي عاوز يديكي الثقه يديها لأبوكي أحسن من باب بيتكم بس برده للأسف أثبتت نفس الأبحاث إن في نوع من ولاد الفراعنه بيدي الثقه لأبو البنت، وبعد كده بنلاقي فيديو تاني على نفس المو اقع اسمه البنت وأختها وأمها وبنت خالتها والعيله كلها.

۞ الحالم...

النجوم والشجر والقمر بقى، وذرات اليورانيوم، وشبرا وبنات شبرا، والسبتيه والحتيه، وكل حاجه يقولك بحبك قدها، ويقعد يعدلك بقى، بحبك قد البحر وحيتانه، وقد الفيل وأسنانه، وقد البيض وبض... ولا بلاش كفايه عليه كده...

۞ المتدين... وده ما بيركعهاش غالبا...

يا أختي في الله لا مانع عند المتزندقة من مخالطة النساء، أو تدرين يا أختاه أن النساء كائنات الله، ولا مانع من النظر إليهن والسرحان في جمالهن بنية التعجب من خلق الله، ولا مانع أيضا من قول سبحان الله بعدها...

-ربنا يطمنك يا أخي، شوف و انا اللي فاكره... تكبير...

۞ الجيماوي...

حقن كتير، نفخ أكتر، سيكس باكس، وسيكس بانص، وسيكس دوت كوم، ورايح فين، رايح الجيم، وجاي منين، جاي من الجيم، وده بمجرد ما البنات تكرفله بيتحول لكائن الباندا عادي جدا، وبيرجع شاب مصري أصيل بسيكس كرش.

۞ المش...

وده كائن مش أي حاجه، يقولك مش مرتاح مع مراتي، مش مرتاح في الشغل، مش مرتاح مع أصحابي، مش مرتاح للمكان، ده مش مرتاح لأي حد وأي حاجه غيرك إنت يا قمر يا جميل، اللي هتريحني، وده كائن أنا مش مرتاحله أساسا.

۞۞۞

طبعا في أنواع كتير تانيه، ممكن تكون مرت عليكم بس هما كلمتين لله. ملوش أي لازمه نحورعلى واحده، أونضحك عليها بكلمتين عشان نكلمها أو نعلقها والسلام. البنت اللي بتتعلق بيك بتخسر كتير لما تعرف إنك بتضحك عليها، وإن كل حكايتك كانت مجرد طريقه للدخول ليها، و إنك في الآخر بتشتغلها وتمشي، وتشوف غيرها، بس ربنا ما بينساش على فكره. هقولك حاجه، خليك صريح وهي يا تقبلك بظروفك زي ما هي وزي ما حكيتها أيا كانت، يا لأ.

الرسالة

13|| الرسالة

في إحدى ليالي شتاء عام 1980..

وفي مكان ما تابع لإحدى الوحدات السرية لجهاز المخابرات المصري كان ممدوح يستعد لإنهاء أعماله اليومية المعتادة في وحدة الاتصالات الخاضعة للوحدة؛ حينما كان زميله يستعد للرحيل مناديا إياه للذهاب معه:

– ألا ترى أنك تبالغ كثيرا في الاستمرار في الجلوس خلف مكتبك رغم انتهاء أعمالك كل ليلة؟ أم أنك تريد الاعتذار مرة أخرى عن دعوتك لي للعشاء؟

رد ممدوح وبه نوع من الاستغراب:

– أبدا يا أشرف، ولكن ألا تلاحظ أن الإضاءة الخاصة بالجهاز ألفا تضيء وتنطفئ من وقت لآخر؟

– وماذا في ذلك يا صديقي؟! إنها تضيء دائما، ثم كيف تأتينا الرسائل إلا إذا أضاءت تلك الآلة اللعينة؟!

– فلماذا لم تصل أي رسائل إذًا؟

– هكذا بدأت في الاقتناع في كونك تتهرب من عشاء الليلة، فلتدعها يا صديقي، لربما كانت إشارة كاذبة، وحتى إذا كانت إحدى

الرسائل فلنقرأها غدا، إننا لسنا بصدد الدخول في إحدى الحروب، هيا، هيا.

– أنت محق في كل الأحوال، وماذا إن قمنا بقراءتها غدا؟! هيا بنا.

أطفأ ممدوح نور الغرفة وأغلق الباب ببطء وهو ينظر إلى الجهاز الذي كانت إضاءته تتسارع وصوته بدأ في العلو معلنا أخيرا أنه على وشك استقبال إحدى الرسائل، فقطع فضوله وفتح الباب مرة أخرى، وأضاء الغرفة واستقبل الرسالة.

لفترة من الوقت ظل كل من ممدوح وأشرف معلقين بصريهما على الرسالة التي بين أيديهما في حالة من الذهول التام غير مصدقين أو مستوعبين لمحتواها إلى أن قطع ذلك الصمت صوت ممدوح:

– لا يجب أن يعلم أحد مضمون تلك الرسالة، يجب أن نسلمها بأنفسنا.

رد أشرف بصوت متقطع:

– والآن يا صديقي يجب تسليمها الآن، كان لا يجب علينا الذهاب قبل تلقيها، أنت محق هيا، فلنذهب.

قام ممدوح بطي الرسالة سريعا ووضعها داخل حقيبته، و انطلق هو وصديقه إلى خارج المبنى، وحال خروجهما فوجئوا بسيارتي أجرة تقفان أمام المبنى مباشرة، ليخرج منهما بعض الملثمين وفي أيديهم أسلحة رشاشة ويعدون نحوهم، وفي رعب شديد سيطر على كليهما تراجع كل من أشرف وممدوح في خطوات يملأها القلق والتوتر للمبنى

قاصدين وحدتهما، وقبل أن تطأ أقدامهما باب المبنى بدأ إطلاق النار نحوهما.

توقف ممدوح متسمرا في مكانه وهو ينظر لعيني صديقه الملقى أرضا والمغطى في دمائه وهو يتمتم: «الرسالة... الرسالة... يا صديقي اهرب...».

لم ينتشل ممدوح من صمته وذهوله سوى صوت الرصاص خلفه فجرى مسرعا على السلالم إلى الطابق الرابع حيث توجد وحدته، وأصوات الملثمين من خلفه تكاد تسقطه رعبا. كان ممدوح على وشك الاقتناع بمصيره الذي سيؤول إليه بعد قليل، ولكن لم يكن يهمه ذلك في الحقيقة أكثر من الحفاظ على تلك الرسالة و إيصالها بأي ثمن للقادة.

دلف إلى داخل الشقة مغلقا خلفه الباب محاولا تعطيلهم بأي شكل، وأسرع نحو غرفة الاتصالات يبحث عن شيء ما، وقام بوضع الرسالة داخله، ثم بدأ في إحراق الغرفة وخلفه أصوات الرصاص تخترق باب الشقة لتمزقه عن آخره، وتتوجه نحو الغرفة المحترقة.

وقف ممدوح وهو يستنشق أنفاسه الأخيرة في بطء ويشم رائحة الموت وهي تقترب منه في صبر وثبات، و انفتح باب الغرفة لتخترق جسده عدد من الطلقات ويسقط أرضا. كانت النار من حوله في كل مكان.

مات ممدوح وترك خلفه آلاف الأسئلة بدون إجابة من هؤلاء، وما هي تلك الرسالة، ولماذا تم قتله وصديقه، ولم ذلك التوقيت لإرساله، وكيف توصل هؤلاء لإرسال الجهاز (ألفا) ليرسلوا عليه تلك

الرسالة، ثم يقومون بقتلهما بعدها دون إيصالها، أم أنهم توقعوا أنها أرسلت بالفعل، وكان قتلهم رسالة أخرى.

مات ممدوح وأشرف دون أن يعرف أحد إجابة أي من تلك الأسئلة، بل دون أن يعرف أحد أي شيء عن الأمر برمته.

مرت السنوات وتم اعتبار ذلك الحادث على أنه حادث حريق عادي، وتُوُفِي به ممدوح وأشرف، ولم يتم إعلان الأمر، وتم إغلاق تلك القضية تماما، و انتقلت كل متعلقات الوحدة وما تبقى منها إلى مبنى المخابرات العامة المصري في إحدى المخازن الموجودة به إلى وقتنا هذا وإلى أن أراد الله أمرا آخر.

❁❁❁

المكان: مقر المخابرات العامة المصرية.

الزمان: شتاء عام 2018.

انهمك الجميع في أعمالهم بجميع الطوابق كخلية نحل عملاقة، كل يساهم في بنائها بطريقة تتوافق وأعمال ومتاعب ذلك العام الجديد والصعب، وفي أحد الطوابق كانت خطوات الضابط عادل نعمان هي أهم ما يميزه وهو يسرع الخطى نحو غرفة السيد مدير المخابرات، وما إن وصل إلى هناك حتى قام بفتح الغرفة و اتجه مباشرة نحو مكتب المدير قائلا له:

– سيدي، آسف على تلك الطريقة الفجة، ولكن الأمر لا يحتمل التأجيل.

نظر المدير لعادل فترة من الوقت، ثم قال له:

– تكلم.

– سيدي، كنا نقوم بجرد المخازن السفلية كما أمرتنا إلى أن دخلنا الغرفة رقم 4، والخاصة بقضية حريق وحدتنا في العام 1980، وكانت كل الأمور تسير على ما يرام إلى أن وجدنا ذلك الصندوق...

– أي صندوق؟

– صندوق فضي صغير مُغلَق الإحكام، وليس به أي أرقام سرية أو مدخل لأي من المفاتيح، ولكن انتابني الفضول لفتحه ومعرفة ما بداخله، واستعنا بأحد رجالنا الذي قام بفتحه، حتى وجدنا رسالة، وسيدهشك ما وجدنا بها حقا، حتى أن...

– أين الرسالة؟

– تفضل يا سيدي، ها هي!

أخذ المدير الرسالة من يد عادل وبدأ في قراءتها وحواسه كلها منتبهة لما بداخلها وكان ذلك نصها:

«عزيزتي مصر لقد انتهت الحرب منذ سنوات قليلة في عيون العامة وفي عيون المجتمعات، ولكنكم تعلمون كما نعلم تماما أنها لم تنتهي بعد، بل أنها لم تبدأ من الأساس، كعادتنا استعجلنا النصر، وكان سقوطكم أذلاء هو شهوتنا التي لا يعادلها شعور، حتى أننا نسينا أن نصرنا الحقيقي هو الصبر، الصبر الذي لن تتحمله شعوبكم يوما ما. نشعر برعبكم من موقفنا، ومن توقفنا عن الهدف الذي من أجله قمنا، وسيزيد من رعبكم أننا لن نتقدم خطوة تجاه أراضيكم

من الآن، فلتستعدوا قدر ما استطعتم إن استطعتم، هو الوقت لا غيره، ربما كان الوقت يوما، ربما شهرا، وربما سنة، وربما عشرات السنين، هو الهدوء الذي يسبق العاصفة، ولكن حينها ستعلمون كم هي قوتنا الحقيقية، ستحاربون بعضكم البعض، وتتفرقون شيعا وشيعا، سنسلط عليكم جيوشا منكم تسقطكم كالذباب، سننهش أموالكم وستموتون جوعا وعطشا، ستنزفون كل ما تملكون وسيصبح الجميع ضد الجميع حتى تقدموا لنا أراضيكم على طبق من ذهب دون أن يمسنا سهم منكم أو رصاصة، سنغزوكم، ستتعرى نساءكم، وتضعف رجولتكم، وتنسون القضية حتى نصبح لكم ملاذا وملجأ وبيتا ومأوى؛ فنحرركم حينها من نجاستكم ونطهركم بالذل والموت، سنطلق كلابنا منكم عليكم، وستتشح مجتمعاتكم بالسواد تحت مسمى دينكم، سيكرهكم العالم ويحبنا، سيتجنبكم ويلجأ لنا لإنقاذكم و إنقاذهم منكم، حينها سنغزوكم، ونقيم ما كان يجب لنا أن نقيمه، استعدوا فالحرب على وشك البداية، وما إن تقرؤوا هذه الكلمات اعلموا أنها بدأت وأن الرسالة ابتدأت».

قلب کلب حلب

14|| قلب كلب حلب

لم تزل شمس الحب تشرق فوق بيوت حلب فوق قاطنيها، لم يزل قاطنوها قلوبهم دافئة، لم أكن بحاجة إلى أن يشتريني أحدهم أو أن ألجأ إلى إحدى دوررعاية الحيو انات الضالة، لم أكن ضالا، كانت المدينة مدينتي والشوارع ملكي، كانت الناس تطعمني، تسقيني، وأحيانا يلاعبونني بالكرة دون أن يفكر أحدهم في إيذائي، لم يعايرني أحدهم ذات يوم بأنه يقدم لي الطعام أو الشراب، بل يعتبرون ذلك واجبا عليهم.

كنت في الجنة وكان سكان حلب ملائكتها، قلبي يضحك عندما أجري في أزقتها، في حواريها الكثيرة الألوان، كان الربيع هو كل أيامها، أبوح لكم بماضي المدينة و أنا أختبئ في أحد منازلها المدمرة، أنظر من خلال فتحة في جدار المبنى صنعتها إحدى قذائف الغرباء، أنظر إلى الشوارع الخالية إلا من رائحة الدم والموتى لفترة من الوقت، تخيلت معكم كم كانت الشام جميلة الجميلات.

سيطرت علي نوبة من البكاء و أنا أنظر حولي مستنجدا بأهل حلب الذين لم أجدهم بجواري، من سيطعمني؟ ومن سيسقيني؟ و أين ذهب الأطفال الذين كانوا يلعبون معي؟ من هؤلاء الغرباء؟ وماذا يريدون من مدينتي؟ ولماذا يقتلون أهل هذه المدينة؟

تحول الربيع خريفا دائما، أصبحت الشمس حارقة وكأنها تحاول تسليط غضبها على الغرباء، وكنت أحترق أنا الآخر منها، وكأنها تلومني على عدم إنقاذي المدينة، ليس بوسعي شيء، أنا مجرد كلب، لا أملك إلا قلبا ولسانا، ماذا لو واجهت الغرباء؟ ماذا لو أردت التنزه؟ أو ماذا لو أردت الحرية؟ ما هذا؟

طفل يخرج من تحت أنقاض أحد المباني ويجري مهرولا، كنت أظن أني الناجي الوحيد في المدينة، لا بد و أنه يتألم، يجب أن أساعده، كما أنه يجب أن يساعدني.

قمت بالجري نحوه، فأخذ يبكي عندما رآني وتمسك بي بشدة، وكأني كنت طوق النجاة بالنسبة له، ثم ظهر غرباء أمامنا فجأة ممسكين بالأسلحة وهم يشاورون بأصابعهم على الطفل، ويرددون لهجات بدت لي غريبة، ولكنها حتما كانت تقصد شرا.

بكى الطفل بهيستريا غريبة وتمسك بي أكثر، كنت سلاحه الوحيد، وأمله الأخير، «لا تخف لن أدعك تموت، لا بد وأن تعيش لتبني حلب، لترى الشمس تشرق والربيع يعود من جديد».

وقفت أمامهم وأخذت في النباح بشدة، وتمنيت لو كانت كلماتي تصل إليهم وإلى عقولهم، «ماذا تريدون من أهل المدينة؟ ماذا فعل هذا الطفل حتى تقتلوه؟ اتركوه يبني ما هدمتموه، اتركوه يروي قصته لعل أحدهم يتأثر وينقذ المدينة، اتركوا له حريته، اتركوه».

ضربني أحدهم برصاصة من سلاحه وقعت أرضا، وجاءت رصاصة أخرى سريعة اخترقت جسدي وكأنها تخرسني سريعا، وكأنهم لا يريدون الاستماع إلى باقي الحديث الذي لم يفهموه من البداية،

احتضنني الطفل الباكي الذي أدرك أنها النهاية، كان آخر ما تذكرته عيناي نظرة الطفل باكيا إلي وعلي، وغروب الشمس عن حلب، أو ربما كان غروب عيني عنها، المدينة التي لم تعد تعرف معنى الرحمة، المدينة التي فقدت كل شيء... إلا... قلب كلب حلب.

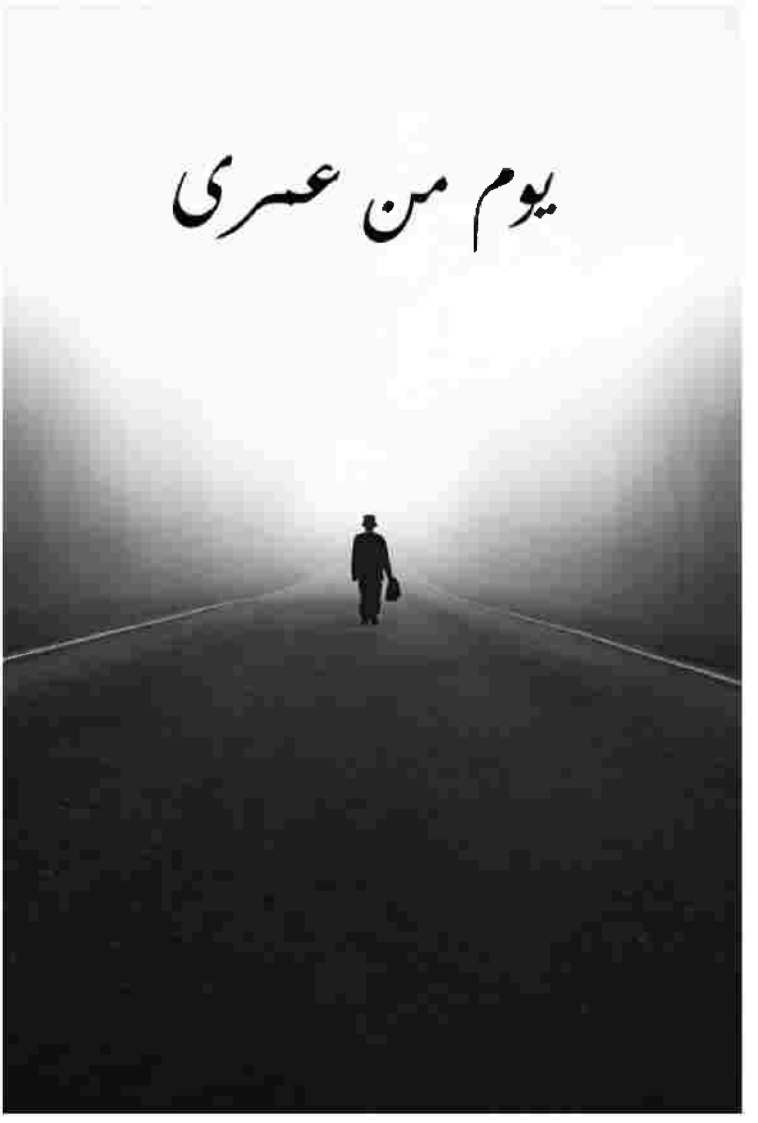
يوم من عمري

15|| يوم من عمري

(1)

كانت البداية قديمة جدا عندما بدأت قصتي مع القراءة، لم أكن ذلك الطفل الذي ينتظر كتابة الألف والباء في كراسته ويعيدها تكرارا ومرارا حتى يستطيع قراءة الحروف والكلمات في المرحلة الابتدائية، فقد كانت والدتي مدرسة لغة عربية في إحدى المدارس، وقد بدأت معي منذ ذلك الحين الذي يدخل فيه الأطفال الروضة، فكانت والدتي هي حضانتي، وتعلمت القراءة في مرحلة مبكرة من عمري بسببها.

أضف إلى ذلك أختي الكبيرة التي سبقتني إلى المدرسة، وكانت غيرتي من كتبها التي تحملها كبيرة، حتى أني كنت أذاكر معها أوراقها أولا بأول.

كانت البداية الحقيقية من رواية ما؛ كان أبي قد جلبها معه إلى بيتنا، لم أنس حتى وقتنا هذا نظرته إلي وأنا جالس على الأرض أنظر في أوراق تلك الرواية محاولا فك طلاسم كلماتها، قال لي وقتها: «سأزيدك جنيها على كل قصة تقرأها وتحكيها لي».

وقد كان هذا الدافع كبيرا جدا لي وقتها، كل من يعرف قيمة الجنيه لطفل آنذاك سيعلم كبر الدافع، كان التحدي الأول في حياتي هو القراءة، فقرأت وتشوقت إلى أن أحكيها له بفرحة عارمة، وكانت أول جنيهاتي التي أكسبها من عمل ما، أما الحقيقة فإني أحببت القراءة جدا، وكلما قرأت أحببت أن أقرأ أكثر و أكثر، ولم تعد تجذبني جنيهات أبي، فأنا أحببت القراءة لذاتها لا للجنيهات الجائزة، لم أعد أطلبها بل ازددت في طلب مزيد من القصص والروايات.

منذ ذلك الحين وحتى وقتنا هذا قرأت المئات والمئات من القصص والروايات والمسرحيات و أبيات الشعر والسير الذاتية، وكانت الحقيقة الثابتة والحكمة الراسخة في عقلي من وقتها إلى الآن أنه وكلما قرأت استنتجت مدى جهلي، وكم من الأمور التي لا أعلمها في حياتي.

أحببت أحد الأمثال، كنت قرأته ذات يوم وهو: (اعرف شيئا عن كل شيء، ولا تعرف كل شيء عن شيء).

بدأت القراءة في كل المجالات، ولم أنس أبدا ضحك أصدقائي علي في المرحلة الابتدائية و أنا أحدثهم عن آلة الزمن، ولا شغف بعضهم و أنا أقص عليهم الرواية الشهيرة أوليفر تويست، ولا رغبتهم في أن أحكي لهم ما قرأته من روايات العظيم نبيل فاروق من رجل المستحيل وملف المستقبل وغيرها الكثير...

(2)

"حتى تغرب شمسك سأظل دافئا بك، أنا مياهك العذبة التي تنظر شروقك كل يوم، وتنطفئ بغروبك عنها، جميلا بوجودك، أحيا بك وأموت بدونك، نكمل بعضنا بعضا لنصنع سويا قصصا رائعة الجمال؛ لا تكتمل دون وجودنا معا".

لم أكن أعرف معنى الحب قبل أن تقرأ عيناي تلك الكلمات، هي القراءة دوما التي كانت سر كل شيء، أن تحب وتكره وتسافر وتتعلم وتناقش وتجالس أحدهم، و أنت قارئ ستشعرك بأنك ملكت الدنيا ومفاتيح جميع أبوابها، ستكون مشاعرك أكثر فيضا، ولسانك أحلى كلاما، وضميرك أكثر صدقا وتصرفاتك أكثر حكمة.

كانت الميزة الكبرى في حياتي جلوسي مع الأكبر سنا، وأصدقاء أبي، ومناقشتهم فيما يتحدثون، وإعجابي بمجاراتي لما هم يتكلمون فيه، وشعور النشوة بالانتصار عندما أرى نظرات إعجابهم بي، و أني على علم ولو بسيط جدا بحديث الكبار.

علمني أبي لعبة الشطرنج من صغري، وكانت أول مباراة حقيقية ألعبها في الصف الرابع الابتدائي مع أحد أصدقاء والدي، ويدعى (حسام)، كان مدرس رياضيات أو حساب بمعنى أوضح وقتها، وكنا حينها نقطن في مدينة القناطر الخيرية، لن أنسى تلك المباراة أبدا، ولن أنسى أبدا (عمو حسام) رحمة الله عليه؛ الذي غلبني في خطوات بسيطة جدا، وأخذ هو و أبي يضحكون مهمشين إياي على أساس صغر سني، وبدأوا يلعبون مع بعضهم البعض مباراة الكبار.

سكت حينها، وفي اليوم التالي كنت اشتريت أحد كتيبات خطط لعبة الشطرنج، وطرق لعبها السليمة من بائع الجرائد في أول شارعنا وشرعت في قراءته بتأنٍ حتى انتهيت وأصبحت جاهزا للمعركة التالية.

كان اللقاء التالي بعد هزيمتي بأسبوع، وذهبت مع أبي للقاء عمو حسام، وكعادتهما وقتها جهزا اللعبة، إلا أني صممت أن ألعب أولا معه وسط نظرات ضجر منهما لاحظتها في صمت بأني سأضيع وقت الكبار في متعتهم، وهزمته شر هزيمة، فضحك معتبرا استهزاءه بي سبب خسارته، ابتسمت ولاعبته مرة أخرى وغلبته، فاستسلم، لاعبني نجله فغلبته، لاعبني والدي فغلبته.

كنت حديث اليوم وكنت المنتصر، وكانت القراءة في الحقيقة هي البطل الأول، تعلمت الدرس ببساطة من يومها إن أردت هزيمة أحدهم عليك بقراءته.

الله سبحانه وتعالى في قرآنه العظيم وفي أول مرة يخاطب بها رسوله، ويتكلم معه، وأول آية نزلت من آياته وفي إشارة منه عزوجل لمفاتيح كل شيء وحل كل المعضلات قال لرسوله الكريم في أمر مباشر: اقرأ، اقرأ باسم ربك الذي خلق، وكم هو عظيم وقع الكلمة في قلوبنا لوكنتم تعلمون، كأول كلمة يخاطبنا بها الله في قرآنه.

تعلمت كل الدرس بمفهومه الشامل، إذا أردنا الانتصار في الحرب علينا قراءة العدو وفهم أساليبه وتاريخه وطريقة عيش شعوبه، إذا أردت الانتصار في الحب عليك قراءة محبوبتك، وما تحب وما تكره، فتفوز بها قطعا عن غيرك، إذا أردت الانتصار في الحياة على كآبتك، أحزانك، فشلك، خساراتك، إذا أردت أن تسافر إلى كل بلدان

العالم، وتقابل كل عظمائه، وتسهر مع كل جميلاته، وتعيش بقاع البحاروبين النجوم عليك بها وحدها... (القراءة).

(3)

من السهل دوما أن تقنع غيرك بالصبر والتحمل حتى تعيش ما عاشه، وتلقى ما لاقاه، ستفهم حينها أن كلمات الغير إليك ليست ذات قيمة، وستدرك أن الصبرليس مجرد كلمة تلقى إلى الأذهان، وأن التحمل فعل عظيم ينتقص من حياتك وقدرتك، ويجعلك شخصا آخر، وأحيانا يكون ما لاقيته هي دروسك التي تزيد من خبرتك، وتجعلك أقوى مع مرورها.

لم أنس أبدا تلقي أبي مكالمة في منتصف الليل يخبره فيها عمي أن والده توفي...

كانت نظرات أبي جامدة، وأخذ ينظرإلينا في شرود واضح. سافرت معه إلى البلد ودخلنا معا لنلقي نظرة الوداع على جدي، وكانت المرة الأولى التي أرى فيها جسدا فارق الحياة، ولم تزغ أبدا عيناي عن عيني والدي وهو ينظر إليه، لكن نظرته لم تتغيرعن نظرته إلينا.

جامدا شاردا صلينا الجنازة، وذهبنا به إلى قبره حتى ذلك الحين لم أكن رأيت دموع أبي من قبل، لم أبك لوفاة جدي بقدر ما بكيت لدموع أبي رغم جموده ووقاره، لم يستطع أن يمنعها.

كنت أعرف أنه سيضعف بدونه، لكنه لم يبدِ ضعفه أمامنا بقدر ما استطاع كان قويا صبورا يزيد من حوله قوة، إلا أن ذلك لم يمنعني

أن أراه من خلف زجاج غرفة مكتبه وحيدا يبكي دائما تارة عند وفاة أعز أصدقائه، وتارة عند دخولي النيابة العامة، لم يكن يبكي أمامنا.

ورغم سنواتي الصغيرة حين وفاة جدي إلا أني تعلمت درسا جديدا: الصبر والجلد، لا يجب أن تظهر ضعيفا أبدا أمام الآخرين مهما حدث، فلتجعل من ضعفهم قوة، مهما كنت ضعيفا لا تظهر دموعك أمام الآخرين، ولا تبخل على نفسك بها منفردا.

رغم قسوة أبي علي في تربيته إياي إلا أنني لم أعرف أحن منه يوما، كانت قسوته حبا وشدته لينا وتصرفاته دروسا للجميع، ما زالوا يتعلمون منها حتى الآن، كنت في إحدى دور السينما أشاهد أحد الأفلام عندما هاتفتني أختي وهي تبكي:

– أحمد، بابا جاله كانسر!

أغلقت الهاتف وهي تحكي وأنا لا أسمع ما تلى من كلماتها، ونظرت بنفس نظراته الشاردة القديمة، ولا أخفي عليكم، كم كانت لحظاتي التي جلستها منفردا يومها مؤلمة، وكم كانت الأيام التي تلته صعبة، إلا أنه كعادته بصبره وجلده وإيمانه بأنهما وحدهما بعد الله من ينقذه استطاع تخطي مراحله الصعبة، وكعادته لم يضعف، وكولده لم أظهر ضعفي مثلما فعل.

وحدها لحظات الألم والابتلاءات ما تغيرنا، وتجعل منا آخرين، وحدها ما تجعلنا نعرف الذي يحبنا ويكرهنا، من يتمنى الخير والشر لنا، وحدها التي تعلمك بأنه لن يتحمل وجعك غيرك، ولن ترحمك كلماتهم، أو تشعرك بتحسن، فقط صبرك على الألم سيفعل، ضعفك لن ينتصر إذا آمنت بقدرتك على تخطي الصعب.

كن قويا لغيرك، كن قويا لنفسك، لا تتعجل الانتصار، ولا تنتظر من دار الابتلاء فرحا مطلقا، وتأكد من أنه بعد العسر يسرا...

(4)

أن تكون كل أيامك جميلة ورائعة كتلك التي تنتظرها في جنتك فهذا أمر محال، وأن تنظر بعين الكمال لكل ما حولك هو من صنيع خيالك، لكن ورغم كل ما تقاسيه إلا أنها حياتك، ولا بد أن تعيشها بحلوها ومرها، وتصنع منها سطورا لروايتك التي ستُسَجَّل باسمك أنت وحدك.

ما من فرحة كانت تعادل أن تكون زوجتي حاملا في طفلين مني، وأي سعادة تلك أن يكرمك الله بتوأمي روحك في بداية حياتك، كانت الأمور على ما يرام والحمل كان مستقرا، ذهبت أزف الخبر الكريم لكل من حولي فرحا بما أنعم الله علي به.

لم تكن فرحتي تقتصر على إخبارهم بذلك، بدأت أحلم و أنفذ، اشتريت عشرات القطع من الملابس لكل منهما بذات التفاصيل حتى لا يكون أي منهما مميزا عن الآخر، بدأت في كتابة قصص لهما ليسمعاها يوما ما عني ومني إليهما، مئات الأحلام والأحلام حلمتها من أجلهما.

كل التقارير والأوراق والفحوصات تشير إلى أنهما بحال جيدة، كل الحياة كانت تستعد لاستقبالهما، ولم أكن أدرك أنها تخفي عني شيئا عظيما سيغير مجرى حياتي إلى الأبد، وسيرسم طريقا آخر لها.

في الشهر السابع كان موعدهما، والكل يعلم كم هو قاس على الأم والطفل أن يكون موعدهما السابع، فما بالكم وهم طفلان.

خرج الطفلان من غرفة العمليات غير مكتملين محمولين على أيدي الممرضة وهما لا يتجاوزان كف يدها مسرعة بهما إلى الحضان، كنت في قمة رعبي عليهما وعلى مصيرهما الذي أضحى مجهولا.

كلام الأطباء غير مطمئن، أصبحت نظرات الجميع تطاردني ما بين مشفق وآمل وشمتان... عقب خروج والدتهما أخبرتها بأنهما بأحسن حال، وهيا نعطيهما أسماءهما، كانت تريد رؤيتهما، وكان كل ما أخشاه حينها أن تطلب مثل ذلك، في الحقيقة لم يراهما أحدنا إلا بعد مرور أسابيع على خروجهما للحياة.

أسميتهما عمر وآسر وأصدرت لهما شهادتي ميلادهما، كانت حالة آسر هي الأخطر: القلب والرئة وأشياء أخرى، شهران ونصف و أنا أنتظر خروجهما مشفقا على ما عانوه من بعدهما عن والدتهما، والجلسات اليومية من ضغط الأكسجين العالي، وسحب الدم منهما يوميا.

كنت أتمنى أن تستقر حالة آسر نسبيا مثل أخيه، حتى جاءني القدر عندما وردني هاتف و أنا في عملي من الحضان:

– أستاذ أحمد والد الطفل عمر؟

– نعم، أنا هو.

– البقاء والدوام لله.

في غضون ساعات كنت أقوم بدفن نجلي الأول أمام عيني، ولكم هو مؤلم ذلك المنظر أن تدفن نجلك بيدك، وتدفن معه كل ما رسمت وخططت له من مستقبل يجمعكما معا، كنت في قمة الرعب على شقيقه آسر، فحالته لم تكن أفضل من أخيه، ولغرابة الموقف ساءت حالته جدا يوم وفاة أخيه، إلا أن القدر أبى أن يحرمنا كليهما.

ولو تعلمون كم تخطى آسر من صعاب حتى يكون بيننا لاستطعتم تقدير كم كان قويا وشجاعا لتحمل كل تلك الآلام، أو أنه أراد أن يتحدى العالم بوجوده، وكان آسر، وكانت الحياة تبدأ من جديد، إلا أن في الحلق غصة.

كثرة ما تلقاه من علاج وأكسجين لمدة كبيرة ومشيئة الله قبل كل ذلك جعلت من ابني كفيفا... لي ابن في الجنة وآخر لا يرى غيرها، ولكن وبرغم الألم إلا أن الله لا يهدي كرمه إلا لأحبته، فقد كان كرمه آسرا، وسيظل كثير يستغربون حبي الدائم للنجوم وتحدثي عنها طوال الوقت، إلا أنهم لا يعلمون أني أنظر إليه طوال الوقت، وأبتسم له، وأعلم أنه يبادلني نفس الابتسامة، أعلم أنه بينها هناك، يضيئ مثلها.

عمر لم ولن أنساك يا صغيري، وأتشوق دائما أن ألقاك، وإلى أن يحدث هذا سأعلم أخاك بك، وأعلمه أنه دائما من بين الألم تبدأ الفرحة، ومن وسط الابتلاء تبدأ حياتك، فقط كن شاكرا، فقط سطر روايتك بقلمك أيا كان لون الحبر الذي بداخله وتذكر دائما...

لن تسير الحياة أبدا وفق ما خططت، فالقدر دائما له رأي آخر.

لا تحكي أبدا كل أسرارك وحياتك الشخصية، فليس الكل يتمنى لك ما تعتقد.

اصبر على ألمك، وتأكد أن الله لا يزيد إلا الصابرين.

لآخر لحظة من الأمل لا تفقده، واجعل من بصيص النور طريقا لك لعله بدايتك الحقيقية.

(5)

وكانت السياسة لي عشقا، كنا نتشارك يومنا كله، أقرأ وأكتب وأعيش من أجلها، لا أترك مجالا للحديث عنها إلا وأشارك فيه، لم أجد لها بابا إلا وطرقته، حتى أنني خاطرت بحياتي وعملي وأصدقائي ونفسي من أجلها، ثم توقفت، لماذا؟

وجدت أني كلما تعمقت في بحورها لم أصنع شيئا جديدا، كلما تحاورت مع أحدهم لم أبلغ مقصدي، ولم أصل ألى نتيجة رجوتها، كان صوتي محدودا، إلى كم شخص سيصل؟ عشرة أشخاص؟ ألف منهم؟ وماذا بعد؟ وكم منهم سيتغير رأيه بسببي؟

ثم إنه لماذا من الأساس أسعى إلى تغيير رأي أحدهم؟ هل هكذا كنت سأنتصر؟ سأسجل نصرا يتحاكى عنه القاصي والداني؟

لم أنل مرادي ولن أسعى إلى نيله مجددا.

ما جعلني أحب السياسة هي بلدي، وكل ما فعلته ولو كان ضئيلا فقد كان من أجلها، إذا، لماذا أترك ما كنت أتحاور من أجله وأركز في التحاور نفسه؟

وجدت أني أستطيع حب مصر بطرق مختلفة، اتخذت في خدمتها سبلا أخرى، أراعي ضميري في عملي، أرجع الحقوق لأصحابها قدر

الإمكان، أساعد كل من تقع عليه عيني ويحتاج إلى مساعدة، أغير من نفسي، فكيف ستتغير بلدي إن لم أتغير أنا، كل محاولاتي الفاشلة للنقاش من أجلها كانت معظمها على المقاهي، فهل كانت ستتغير حينئذ؟

لا تخسروا أصدقائكم، لا تخسروا من تحبون، غيروا من أنفسكم، ستتغير بلدكم، لا تيأس، لا تلقي اللوم على الآخرين، فقط الق اللوم على نفسك إن لم تعمل من إجلها، إن لم تتغير أنت لن تتغير هي.

وفي سبيل ذلك تقبلوا مني تلك الكلمات الشعرية، واعملوا بها ما استطعتم:

❁❁❁

أيها الساسة الكرام

ابعدوا عن الساسه والسياسه والحرام

واخلقوا لعقولكو حاجه تانيه للكلام

حاجه حلوه، حاجه برحه، حاجه أحسن والسلام

لما كنت بحب أحكي كنت برضى بس نفسي

عمري ما قولت حاجه غيرت مجرى النظام

كان يوماتي أحرق ف دمي وأجري ياما لحضن أمي

أقولها يمكن تبرد نار ف قلبي حتى عقلي والعظام

أيوا أنا اللي بحب بلدي، واللي عارف كام قيمتها

واللي مهما قولت عنها مش هكون طوبه ف بيتها
بس لما اتلموا الساسه فيها قسموها، جردوها من هيبتها
خدتوا إيه من كلمه جرحت كلمه، قتلت كلمه، خلت ناس نسيتها
خدتوا إيه من فرقه خلت كل واحد مننا ف حته
عمر يوم ما سفينه تمشى لما كله يكون قائدها
جدي قالي بص يا ابني مصر زي أمك تمام
هتحبها تعملها وتعيش عشانها ولجلها
واوعاك ف يوم تخلي كلب يسبها
و ابعد عن الساسه والسياسه والحرام
جدي مات بس مصر لسه عايشه
لسه و اقفه حتى والساسه ف عششها
متخافوش منهم عشانها
مصر ادت درس قاسي لكل حد جرب يخونها
مصر باقيه من غير كلامي أو كلامكم أو كلامها
مصر باقيه بربها مهما عانت ومهما شالوا من جذورها
ابنوا فيها، ابنوا ليها، اعملوا لنفسكو حاجه، واعملولها
واسمعوا واعوا الدرس بعقولكم
أيها الساسه الكرام

ابعدوا عن الساسه والسياسه والحرام

واعملوا لمصر حاجه تانيه حاجه حلوه حاجه أحسن والسلام.